٥٤

مجلة
روايات أحلام

نصف القمر

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

نصف القمر

وانقلب السحر على الساحر...

أرادت باميلا سامرز أن تحصل على وظيفة تبعدها عن تحرشات أرباب العمل، فأخفت جمالها وراء مظهر عانس رصينة قبيحة، ونجحت في إرضاء بول غراينجر الرقم الصعب في عالم رجال الأعمال.

لكن قلبها خانها فقد سقط صريعاً أمام سحر بول الآسر، ولم تكن هذه إلا بداية المشاكل فكيف تستطيع أن تواجه غضب بول غراينجر الذي لا يرحم عندما يكتشف أنها خدعته؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ الحياة لعبة

أسرعت باميلا سامرز كالبرق إلى مكتبها وراحت تفرغ أدراج طاولتها ثم تغلقها بضربات عنيفة. وبعدما جمعت حاجياتها الشخصية، وضعتها في ظرف كبير، ثم خرجت من المكتب مغلقة الباب وراءها بقوة، واتجهت نحو المصعد وبدأت تضغط الزر بشكل متواصل وكأنها تريد أن يصل بأسرع وقت، وما كاد المصعد يصل حتى فتحت الباب ودخلت بصورة أثارت استغراب عامل المصعد.

توقف المصعد في الطابق السفلي وهناك أسرعت بالخروج بسرعة تلوّح للعامل الذي ظلّ ينظر إليها مدهوشاً.

انطلقت تحت سماء لندن التي كانت تطل الشمس فيها باستحياء.

تكون ضاحية لندن في مثل هذا الوقت من النهار فارغة، فما من أحد يجرؤ على الخروج من العمل قبل إقفال سوق القطع في الرابعة.

تساءلت باميلا عن الصعوبات التي ستعترضها حتى تجد وظيفة جديدة. فهي لا تتوقع من مخدومها السيد غودميو، الذي تركته منذ قليل، أن يعطيها شهادة تظهر حسن سلوكها، فهو لم يعاملها معاملة

مهذبة عندما وضع يديه على خصرها، أو عندما صفعته على وجهه.. لماذا يعتقد جميع المديرين البالغين من العمر الخمسين أنهم فاتنو النساء؟ حسناً.. لن تقع في براثن هؤلاء العجائز المنحرفين حتى ولو كلّفها هذا تغيير وظيفتها يومياً.

أدارت رأسها فجأة فانتبهت إلى صورتها المنعكسة على زجاج أحد المحلات. كان شعرها الأشقر الطويل مسترسلاً على كتفيها وكأنه خوذة مخملية ناعمة وكانت عيناها الزرقاوان تلمعان لمعاناً شيطانياً فوق أنف مستقيم صغير، عليه بعض النمش الخفيف الذي أنار بشرة ناعمة صافية كالعسل.

إنها فتاة طويلة القامة، تركز على إبراز طولها بارتداء خف عالي الكعبين. وكانت على الرغم من طول قامتها تبدو نحيلة ورقيقة وكأن تكوينها العظمي الرقيق يعطيها مظهراً ملوكياً، أو كأنه صورة لتمثال آلهة من آلهة الإغريق.

أشاحت بنظرها عن الواجهة، ثم حثّت خطاها: هذا ليس إنصافاً فأنا لا أفعل ما يشجع أياً منهم على مغازلتي، لماذا يعتبرونني لعبة سائغة؟ فما أنا إلا فتاة قروية بعيدة كل البعد عن النساء الخطيرات. فلماذا لا يتركونني أقوم بعملي بشكل طبيعي؟

كان الغضب قد تملكها حتى راحت تكلم نفسها. كانت تمشي على غير هدى لا تعرف أي اتجاه تسلك. فجأة اصطدمت برجل عريض المنكبين يسير في الاتجاه المعاكس، فاحتواها بسرعة بين ذراعيه ليحميها من الوقوع، والدهشة بادية على وجهه الذي لوّحته الشمس.

عندما رفعت بصرها إليه طالعتها نظرة تسلية تنطلق من عينين رماديتين، فحاولت الابتعاد ولكن ذراعيه اشتدتا حولها تعيدانها إليه

مازحاً:

ـ ليس بهذه السرعة، فلم نكد نتبادل النظرات.

جذبت باميلا نفسها منه بقوة وراحت تحملق إلى الرجل الهادىء البارد الذي ظلّ يسدّ عليها طريقها. كان شعره البنيّ مصففاً بعناية بحيث يلامس ياقة قميصه الأبيض الحريري المتناسق مع بذلته الرمادية الدكناء. كان أطول منها على الأقل بمقدار رأسه ومع أنه يرتدي ملابس تدل على أنه أحد المديرين أو المسؤولين، فقد اعتقدت باميلا أن ذراعيه المفتولتين وصدره العريض هما لبطل رياضي.

قالت له محرجة، وهي تحاول الابتعاد:

ـ أنا آسفة.. إنها غلطتي أنا. لم أكن أنظر أمامي.

امتدت يده لتمنعها من الابتعاد:

ـ رويدك! لا تتركيني بسرعة هكذا! اسمحي لي على الأقل أن أقدّم لك فنجان قهوة.

نظرت باميلا إليه وهزت رأسها:

ـ لا.. شكراً. يجب أن أذهب.

وتركته، يحدق فيها بارتباك وحيرة.. فآخر ما تريده في الوقت الحالي صحبة رجل.

كانت عندما وصلت إلى كينغستون حيث تتشاطر وصديقتها شقة واحدة ما تزال غاضبة. فتحت الباب ودخلت، رامية الظرف على الأريكة ثم ارتمت قربه.

ـ بام. أهذه أنت؟

دخلت فتاة سوداء الشعر، ممشوقة القوام الغرفة.. تسأل بلهفة:

ـ لماذا عدت إلى المنزل باكراً؟

نظرت إلى الظرف المرمي على الأريكة:

ـ أوه.. لا. لا تقولي إنك تركت العمل مرة أخرى أم تراك طردتِ هذه المرة؟

ـ حسناً.. بيرل.. قولي إنني رفضت القيام بواجبات معينة فكان أن استغنيت عن عمل آخر.

خلعت باميلا حذاءها واضطجعت على الأريكة، فرفعت بيرل حاجبيها وهي لا تصدق عينيها:

ـ أتقصدين أن العجوز غازلك؟ إنه في عمر والدك. لا.. بل إنه في عمر جدك. إن ما يجري على المسرح هو مجرد لهوٍ بالمقارنة مع ما يجري في دهاليز عالم المال.

ـ إنه عالم العبث والفجور.

أغمضت باميلا عينيها بعدما ألقت رأسها على ذراع الأريكة:

ـ أنا لا أرغب إلا في القيام بعملي لأتلقى أجراً محترماً. لقد استأجرنا هذه الشقة معاً، وإن لم أدفع نصف الإيجار فلن نستطيع البقاء فيها.. ولكن كيف لي أن أدفع الإيجار ما دمت أترك وظيفة تلو وظيفة.. لماذا لا يستطيع أمثال هؤلاء الرجال أن يفهموا أنني لست ممن يقمن أية علاقة مع أي واحد منهم. أنت تعرفين أنني لست من هذا الصنف، بيرل.

مدت بيرل يدها النحيلة إلى مؤخرة عنقها، ورفعت شعرها عن كتفيها:

ـ لا أدري! الغريب أن أصدقائك يدعونك «سيدة الثلج الصغيرة». لكن يجب أن تعترفي أنك لا تملكين المواصفات الملائمة لهذا اللقب... ولكن من تملك جسداً كجسدك ووجهاً

كوجهك يجب أن تتقدم للعمل في عرض الأزياء. إن كنت مضطرة للخضوع لرغبات رب العمل فليكن أجرك على الأقل مغرياً.

ـ أوه.. هيا بيرل.. لست جذابة بما فيه الكفاية لأنافسك في مجال عرض الأزياء أو العرض الجسماني. أضيفي إلى ذلك أنني قدمت إلى لندن لأخطط لنفسي مستقبلاً عملياً. لم أدرك أنني مضطرة إلى القيام بسلسلة من النشاطات التي لا علاقة لها بالعمل للمحافظة على هذا العمل. أود حقاً خوض ميدان أسواق القطع، وليست هناك طريقة ما أجعل من خلالها الرجال ينظرون إلى عملي عوضاً عن النظر إلى شكلي.

أشعلت بيرل سيكارة، ونظرت إلى باميلا بإمعان:

ـ ربما هناك طريقة... ولكن قد تخسرين أموراً كثيرة.

جلست باميلا على الأريكة وأدلت برجليها إلى الأرض وحملقت إلى بيرل:

ـ أهناك طريقة ما تخولني الاحتفاظ بوظيفتي دون أن أتعرّض إلى تهجمات عجوز مستهتر؟

ـ حسناً.. لست أدري. إنها طريقة غريبة بل ربما سخيفة ولكنها قد تؤدي الغرض.

ـ ما هي؟ أرجوك؟ أنا على استعداد لفعل أي شيء إلا الجريمة. هيا أسمعيني الفكرة.

ـ أتذكرين الدور الذي لعبته في أول مسرحية شاركت فيها؟

فكرت باميلا لحظة:

ـ أجل أذكره. مثّلت دور سيدة عجوز تحمل الفاكهة لتبيعها، أليس كذلك؟ لكن ما علاقة هذا الدور بفكرتك؟

ـ يام! فكري ملياً أرجوك؟ أتذكرين كيف بدوت يومذاك. بقيت

على حالي لكن الماكياج فعل بي العجائب. إن مشكلتك تنبع من مظهرك الطبيعي المغري. أنت لا تشجعين الرجال ولكنك خلقت فاتنة. فلماذا لا تحاولين إخفاء أنوثتك والظهور بمظهر امرأة غير فاتنة. الفكرة غريبة ومجنونة، لكن إذا كان هذا ما تريدينه فلِمَ لا؟

اعتدلت باميلا في جلستها:

ـ أتعتقدين حقاً أنه يمكنك أن تغيري منظري؟ أعني هل يمكنني المواظبة على التنكر أمداً بعيداً؟

أطفأت بيرل سيكارتها وابتسمت:

ـ أجل.. أنا واثقة من نجاحنا. إنما هل تريدين حقاً الإقدام على أمر كهذا؟ تذكري.. لن تجدي بعد هذا شاباً يطلب منك موعداً.

ـ هذا شيء عظيم. فأفكار الشبان لا تختلف عن أفكار العجائز. لكنهم أشحّ يداً وأكثر حيوية، أتعرفين؟، أود أن أعلن أن جميع الرجال خارج حدودي. متى نبدأ؟

هبَّت بيرل عن كرسيها:

ـ ما رأيك أن نبدأ الآن؟

تبعت باميلا صديقتها إلى غرفة النوم وهناك راحت تراقبها وهي تخرج حقيبة الماكياج من خزانتها. جلست باميلا حيث أشارت بيرل التي بدأت بإخراج بعض أدوات الماكياج وقالت:

ـ فلأرَ... أولاً: هذا الأنف جميل ومتكامل بالنسبة لعانس. لماذا لانضيف إليه بعض الانتفاخ الاصناعي هاك.. لقد أفسدتُ لك منظر أنفك جيداً. والآن سأضيف بعضاً من الخطوط على جبهتك وخديك وتحت عينيك، لإظهار التجاعيد على وجهك، وعليك بعد ذلك تغطية كل شيء بكريم الأساس الرمادي... ها

أنت.. ما عدت امرأة جميلة!

بدا واضحاً أن بيرل تتمتع بعملها، فقد عقدت شعر باميلا على شكل ذيل حصان فبدا الشعر البرّاق الجميل على هذا النحو كئيباً... ثم لم تلبث أن ألبستها نظارة باهتة المنظر قديمة الطراز.

ـ حسناً.. ما رأيك؟

لم تصدق باميلا عينيها:

ـ لقد نجحتِ.. أكاد لا أعرف نفسي.. لا أعتقد بعد هذا أن أحداً سيوظفني. ولكن إن وُظّفت فأنا موقنة من أن رب العمل لن يحاول التحرش بي.

ـ رويدك لحظة.. ليس بهذه السرعة، فأمامنا مشكلة جمال جسدك.. علينا أن نخفيه بملابس مع الماكياج... تعالي الآن انزعي الماكياج، فلدينا مشتريات نشتريها، وأعرف بالضبط المكان الملائم.

عندما دخلت باميلا إلى محل لا يبيع سوى ملابس للعجائز من النساء البدينات والمتوسطات الحجم شهقت دهشة ولكن بيرل أسرعت تختار بعضاً منها.. سترات لا شكل لها، ذات ألوان رمادية وبنية وزيتية وأزواج من الجوارب السميكة القطنية القاتمة الألوان وأحذية منخفضة الأكعاب.

لم تستطع باميلا تصديق ما رأت عندما نظرت إلى نفسها في المرآة مرتدية زيّها الجديد.

ـ بيرل.. لن يفكر فيّ رجل إطلاقاً... أبدو امرأة غير مرغوب فيها أبداً. كيف سأتمكن من شكرك؟

أمضت باميلا يوم الأحد في قراءة للإعلانات المبوبة في الجرائد واضعة الإشارات على الوظائف التي تثير اهتمامها. صباح

الاثنين تزيت بزي التنكر وانطلقت تقوم بجولة على الوظائف التي تحمل عناوينها.

الوظيفة التي أثارت اهتمامها كانت في مؤسسة بول غراينجر، إحدى أكبر شركات السمسرة والاستثمار في سوق البورصة اللندنية. وهي مؤسسة مفيدة لتعلم الكثير عن عالم المال.. في الواقع لو أتيحت لها الفرص المناسبة لتقدمت في هذه الشركة نفسها.

تحتل شركة غراينجر طابقاً كاملاً في ناطحة سحاب عظيمة. أخذت باميلا نفساً عميقاً وحاولت أن تتمالك نفسها ثم شقت طريقها بتحدٍّ عبر الأبواب الزجاجية المحاطة بإطار مذهب. نظرت إليها موظفة الاستقبال بدهشة:

ـ هل لي أن أساعدك؟

ـ نعم.. أريد تقديم طلب عمل بناء على الإعلان المنشور في صحيفة الأمس.

مدّت الفتاة يدها إلى أحد أدراج طاولتها ثم قدّمت لها استمارة:

ـ أرجو أن تملئي هذه الاستمارة قبل أن ترديها لي.. استخدمي إن شئت تلك الطاولة.

طفقت باميلا تملأ الاستمارة التي كانت معظم أسئلتها تقليدية وتسهل الإجابة عليها. أحست بالسعادة لأن القوانين تمنع طرح سؤال يتعلق بالعمر في استمارات التوظيف وذلك لإفساح مجالات العمل أمام الجميع. بعدما أتمت ملء الاستمارة أعادتها إلى موظفة الاستعلامات، التي وضعتها أمامها على الطاولة.

كانت باميلا على علم بأن مستواها في الطباعة والاختزال هو

فوق المطلوب، لذا أحست بالراحة لاجتيازها مرحلة الاختبار بمهارة.

أبدت موظفة الاستعلامات سرورها بالنتيجة، فقادت باميلا إلى غرفة خاصة كبيرة فيها كانت تجلس امرأة رمادية الشعر. أشارت إليها بالجلوس على كرسي قرب مكتبها.. كانت المرأة مرتدية بذلة زرقاء أنيقة الطراز، غالية الثمن... نعم البذلة تشير إلى الاحتشام ولكنها حديثة الطراز فشعرت باميلا أمامها بالقلق من ماكياجها الثقيل وثيابها القاتمة.

ـ أرى أن لك مهارات متفوقة في حقل السكرتارية آنسة سامرز ولكنك لم تذكري اسم أحد قد يوصي بك. ولا شك أن لامرأة في مثل سنك خبرة فريدة في مجال السكرتارية.

فردت باميلا كاذبة على مضض:

ـ أمضيت معظم أيام شبابي في رعاية أمي المريضة التي ماتت الآن.

المرأة التي عرّفت عن نفسها تحت اسم تاوتسند، سكتت قليلاً ثم قالت:

ـ لست من كنا نتوقعه غير أنني أراك الشخص المطلوب تماماً. كما تعلمين، أن مؤسسة غراينجر هي مؤسسة معروفة لها مكاتب في معظم مدن العالم الرئيسية. صحيح إنها شركة إلا أنها ذات مدير واحد.. بول غراينجر. أنا سكرتيرته الخاصة منذ عشر سنوات، ولكن أعمال الشركة مؤخراً تضاعفت فكان أن توليت إدارة المكتب عوضاً عن وظيفة السكرتيرة، فلم يعد لديّ الوقت الكافي لإتمام أعمال السكرتارية. إن السيد غراينجر بحاجة إلى شخص يتولى أمر بريده الشخصي وشؤون أعماله... وبكل بساطة، وللأسف ما عاد

بمقدوري تأمين الوقت اللازم له. لقد حاولنا الاستعانة بفتيات من قسم السكرتارية في محاولة لسد المركز الشاغر، لكنهن كن جميعاً صغيرات في السن لا يرغبن ـ كما يبدو ـ في العمل بل في إقامة علاقة مع السيد غراينجر الذي يرفض أن يدمج بين حياته الخاصة وحياته العملية. أنت تبدين رصينة ذات تفكير سليم وأنا واثقة أنك ستكونين المرأة المناسبة لهذا المركز.. إلا أن للسيد غراينجر أن يقرر ذلك بنفسه... سأرى إن كان لديه الوقت لرؤيتك حالاً... أرجو المعذرة آنسة سامرز.

لم تكد باميلا تصدق ما تسمع، فهي لا تتصور أن هناك رجلاً يريد سكرتيرة لأعمال مكتبه فقط، خصوصاً إذا كان له سمعة بول غراينجر... أكبر ساحر في سوق القطع في لندن. إنها متيقنة الآن من أنها ستتعلم منه عن عالم المال أكثر مما ستتعلمه في المعهد المسائي.

بعد دقائق عديدة تبعت باميلا السيدة تاوتسند إلى غرفة كبيرة جدرانها مغطاة بالخشب باستثناء الجدار الخلفي الذي هو عبارة عن زجاج يطل على نهر التايمز الذي يمر تحت جسر لندن الشهير، فيضفي على المكان روعة وجمالاً. كانت مفروشات المكتب كلها من خشب الساج اللماع، وعلى الرغم من ضخامة الأثاث إلا أن خطوطه الكلاسيكية كانت تضفي عليه بساطة وأناقة ومع ذلك لم تكن تقارن أبداً بالطاقة الديناميكية المنبعثة من الرجل الواقف وراء الطاولة مادّاً يده إلى باميلا. كان وجه هذا الرجل الذي لوّحته أشعة الشمس متناقضاً مع بياض قميصه، وبذلته الرمادية الدكناء تخفي تحتها جسداً مفتول العضلات.. ولكن عينيه الثاقبتين هما ما أثارتا اهتمام باميلا، فقد كانت تنظر في وجه الرجل الذي ارتطمت به قبل

يومين في الشارع أثناء سيرها على غير هدى ذاك اليوم الذي تركت فيه عملها. ابتلعت ريقها بقلق، فإن كان هناك من يقدر على كشف تنكرها فهو هذا الرجل. ومع أن عينيه أمعنتا النظر في وجهها إلا أنه لم تبدر عنه ما يشير إلى تعرفه إليها بل كان ينظر إليها وكأنه يشاهدها للمرة الأولى في حياته.

ردَّ صوته العميق باميلا إلى أرض الواقع:

ـ تفضلي آنسة سامرز. لقد تكلمت السيدة تاوتسند بشيء من الإيجابية عنك. وهي دون ريب أعلمتك بحاجتي الماسّة إلى سكرتيرة شخصية. للوظيفة مكافأتها، ولكنها شاقة لأن لا وقت محدّد لها. فعندما يحين أوان صفقة تجارية نعمل جاهدين بدوام مضاعف. فأرجو أن تكوني قادرة على إلزام نفسك بمثل هذا البرنامج عندما تدعو الحاجة.

هزت باميلا رأسها:

ـ ليس لدي ارتباطات. ستجدني جاهزة عند الحاجة.

فابتسم بول غراينجر:

ـ سيدة تاوتسند، أعتقد أننا وجدنا ضالتنا.

وعاد يتحدث إلى باميلا:

ـ أعتقد أنك اطّلعتِ على أمر الرواتب والشروط الأخرى. حسن جداً.. اتفقنا إذن. متى تستطيعين البدء؟

ـ فوراً إن شئت، فلست مرتبطة بمواعيد هذا اليوم.

ـ عظيم ستقودك السيدة تاوتسند إلى مكتبك.. وقد أطلب خدماتك في وقت قريب.

تبعت باميلا السيدة تاوتسند إلى مكتب السكرتاريا الواقع خارج مكتب السيد غراينجر وهناك راحت تصغي لما تقوله السيدة

باهتمام، وما هي إلا فترة قصيرة حتى دقّ جرس الهاتف الداخلي يطلب من باميلا القدوم إلى مكتب السيد غراينجر لإملاء بعض الرسائل.

كان بول غراينجر مستنداً إلى الخلف على كرسيه الأسود الجلدي. كان منظر وجهه الجانبي الشبيه بمنظر النسر، يبدو وسيماً تحت أشعة شمس الظهيرة. لدى سماعه إقفال الباب استدار يواجه باميلا قائلاً:

ـ لديّ بضع رسائل أود أن أمليها عليك. تفضلي بالجلوس.

وراح يملي عليها حالما استوت جالسة، مسرعاً في الكلام لا يتوقف إلا ليستجمع أفكاره فكان أن أملى عليها في ساعة سبع رسائل. وسألها:

ـ هل يمكنك طباعة كل هذه الرسائل بعد ظهر اليوم؟

فأجابت باميلا على الفور:

ـ لن أترك المكتب قبل أن أنهيها. سأحملها بنفسي إلى غرفة البريد قبل أن أغادر.. هل هناك شيء آخر؟

أسند غراينجر ظهره إلى الكرسي:

ـ لا. هذا كل شيء.. شكراً لك آنسة سامرز.

وابتسم لها فأحست بالدم يجري حاراً في وجنتيها وبأصابع غريبة تلمس فقرات ظهرها، مما جعلها تستعجل الخروج من الغرفة. هناك خطأ ما فيها... ولكن، مهما يكن الأمر عليها أن تستردّ رباطة جأشها بسرعة، فليس بإمكانها أن تتصور ما ستكون ردة فعله لو علم أن قلب الآنسة سامرز الوقور يضطرب كلما ابتسم لها... انسي الأمر يا فتاة... فهذه الوظيفة أهم من أن تخاطري بها في سبيل عواطفك تجاه رئيسك.

كانت باميلا تطبع آخر رسالة عندما فتحت شقراء أنيقة صغيرة الجسم باب المكتب.. رفعت رأسها أمام باميلا:

ـ أنت دون شك سكرتيرة بول الجديدة. ما أروعك! يظهر أنك ممن يعتمد عليهن.. أنا سوزي هاليداي، خطيبة بول. سأدخل إليه فوراً. إنه ينتظرني.

هبّت باميلا عن مقعدها بسرعة وسدّت عليها الطريق:

ـ أرجوك آنسة هاليداي.. لديّ تعليمات صارمة تفيد أن أعلن عن وصول الزائر قبل دخوله، لماذا لا تصبرين قليلاً حتى أتصل به! لن تقتضي المسألة إلا لحظات.

برقت عينا سوزي غضباً عندما كانت باميلا تتصل ببول وما هي إلا لحظات حتى خرج بول غراينجر من باب مكتبه، وابتسامة ارتياح ترتسم على شفتيه. وقف في الباب يراقب سوزي وهي تنقر بأصابعها على طاولة باميلا بنفاذ صبر. قال بهدوء:

ـ آنسة سامرز.. أنا سعيد جداً. ما كان لسكرتيرة من قبل القدرة على إعلامي بوجود الآنسة هاليداي. إنها عادة تقتحم المكان وتقاطعني مهما كان بيدي من عمل.

التفتت سوزي إليه تنظر إلى عينيه الرماديتين، ثم سارت إليه بدلال وقالت:

ـ آه.. ولكن مقاطعتي لك تبهجك كثيراً، فلم يحدث أن سمعتك تتبرم.. تعال فلندخل المكتب لأحييك بالطريقة المناسبة.

بعد لحظة أقفل الباب وراءهما.

أحست باميلا ولسبب غير مفهوم بالانزعاج، فقد شعرت بالاشمئزاز من منظرها ومن هذه الثياب البنية القديمة الطراز، لكن هذا ما أرادته. كيف تفسر رغبتها المفاجئة إلى ارتداء ثياب أكثر

أناقة؟ هذا مغاير للمنطق. فكان أن عزت السبب إلى عدم اعتيادها على صورتها الجديدة.. وهي ستحتاج إلى وقت طويل حتى تتكيف مع هذه الصورة. ومع ذلك فما زالت تشعر برغبة إلى ارتداء ثوب أنيق ساحر لتدخل إلى مكتب بول، فتجعله ينظر إليها بالطريقة التي نظر فيها إلى سوزي هالياداي. هزت رأسها حتى تبعد عنها هذه الأفكار، إنها في هذا المكان للعمل لا للتفكير في هذه السخافات التي قد تؤدي إلى فقدان أفضل عمل قامت به.

بعد فترة قصيرة خرج بول وسوزي من المكتب، ويده حول خصرها، كانت المرأة متعلقة به مثل هرة أليفة.

توقف بول قرب باميلا:

ـ أنا مغادر. يمكنك مغادرة المكتب بعد الانتهاء من عملك.. راجعي السيدة تاوتسند إذا كان لديك أسئلة ما.

لم يمضِ وقت طويل حتى غادرت مبنى الشركة. توجهت نحو الباص. كانت على الرغم من جمال الأمسية تحس بالتعب والشوق للوصول إلى المنزل طلباً للراحة.. لكن بيرل كانت تنتظرها على أحرّ من الجمر، عندما دخلت إلى الشقة، نظرت إليها بفضول، وتبعتها إلى غرفة النوم:

ـ حسناً.. أخبريني ما حدث.. هل حصلتِ على وظيفة؟ كيف سارت الأمور؟ هل ستخبرينني بما حدث أم تتركينني أتحرّق شوقاً؟

أسرعت باميلا تخلع ملابسها:

ـ حصلت على وظيفة رائعة في مؤسسة غراينجر وقد أصبحت سكرتيرة بول غراينجر الشخصية بسبب منظري. فالفتيات اللاتي حاولت المؤسسة ترقيتهن لم يكنّ أهلاً للوظيفة بسبب شغفهن برئيسهن. أتصدقين هذا الحظ؟ أشكرك بيرل جزيل الشكر فهذا

أفضل ما حدث معي.

فضحكت بيرل:

ـ بام، أنت مجنونة، إنما هذه حياتك، هيا عليك إزالة هذه الأصباغ القبيحة عن وجهك، ولكن تذكري أن الماكياج ضار ببشرتك.

ـ حسناً بيرل.. في الحق أنني لا أستطيع الانتظار حتى يأتي اليوم الذي أتخلص فيه من هذا الزي، فهو على الرغم من إتاحته لي فرصة ذهبية مقيت.

اغتسلت باميلا وارتدت ثوباً قصيراً ملوناً زاهياً، تلتقي ياقته المثلثة بخط الخصر المرتفع. نثرت على نفسها بعض العطر ودخلت إلى المطبخ.

نظرت إليها بيرل وقد ارتفع حاجباها ذهولاً:

ـ يا للعجب.. ما أروعك! ماذا أصاب سيدة الأعمال الرزينة التي ولجت هذا الباب منذ نصف ساعة؟ هل هجرتنا بهذه السرعة؟ لا تقولي إن الاستعراض ألغي بعد العرض الأول؟

ـ توقفي عن هذا بيرل. يتملكني إحساس غريب يدفعني إلى ارتداء شيء مغرٍ أنيق وما ذلك إلا للتعويض عن يوم القباحة هذا.

ـ أفهمك. لا حاجة للشرح. والمؤسف أنك تضيعين هذا الجمال المتألق في عرضه عليّ. إن كنت ستعمدين إلى هذا النوع من اللباس كل ليلة فيستحسن البدء بدعوة ضيوف من الجنس الآخر على العشاء، فليس من المنطق هدر هذا الجمال على لا شيء... كما إننا الآن خارج دوام العمل.

ـ لا شكراً.. بيرل. فما زلت أمقت صحبة الرجال. أردت فقط أن أشعر بأناقتي ثانية، والآن فلنستمتع بالعشاء وبعده أحدثك

عن المزيد ثم آوي إلى فراشي لأنني أرغب في النوم باكراً لأستيقظ غداً نشيطة، فحدسي ينبئني بأن رئيسي متطلب.

* * *

٢ ـ ارتباك

وصلت باميلا إلى عملها في الصباح التالي عند الثامنة فوجدت المكتب فارغاً إلا من تود، ساعي بريد الشركة، الذي كان يقوم بجولته لجمع بريد الأمس. فنظر إليها دهشاً:

ـ ماذا تفعلين هنا باكراً؟ موظفو المكتب لا يحضرون قبل التاسعة.

ـ إنه يومي الأول في العمل لذا أريد أن أكون مستعدة عندما يصل السيد غراينجر. فرغبتي أن أعمّر أكثر مما عمّرت السكرتيرات الأخريات اللواتي سمعت عنهن.

فابتسم تود، ونظرته تتجول سراً على جسدها:

ـ لا تقلقي. أنتِ لست مثلهن. ولا ريب أن السيدة تاوتسند والسيد غراينجر سيسران بك.

جلست باميلا في مقعدها ورفعت حاجبيها:

ـ وما شأن السيدة تاوتسند بهذا؟ ظننتني سأعمل عند السيد غراينجر.. أليس هو من عليّ أن أهتم بإرضائه؟

فضحك الفتى وجلس على طرف مكتب باميلا.

ـ أنت حقاً جديدة هنا، فلأشرح لك واقع الحال. إن من يدير هذا المكان بقبضة حديدية هي روڤينا تاوتسند... إياك أن تصدقي

www.elromancia.com

كلمة مما تقوله لك عن أن الإدارة لرجل واحد. بول غراينجر هو الدماغ المحرك للعمل.. إنه مَنْ يتخذ القرارت التي تؤثر في بعض أثرى أثرياء العالم، لكنه لا يأبه البتة كيف يدار مكتبه ما دام العمل مستمراً. وهنا يأتي دور السيدة تاوتسند. إنها معه منذ أن شرع في العمل. كانت سكرتيرته الخاصة، ولهذا ترى أن ما من أحد يجيد القيام بهذه المهمة. إنها تتصرف وكأنها أمه الحنون... إذن هي مَنْ يجب أن توليها اهتمامك، هذا إذا أردت البقاء هنا.

نظر بسرعة إلى ساعته:

ـ حسناً الآن.. يجب أن أذهب.. ناديني إذا احتجت إليّ.

بعد خروجه فكرت في ما قاله. وكأنما انعكاساً لأفكارها ظهرت السيدة تاوتسند من الباب.

ـ عجباً.. بكّرت في الحضور، فلا حاجة بك إلى المجيء قبل التاسعة.

ـ أردت أن أكون موجودة حينمايصل السيد غراينجر.. ظننته قد يحتاجني في عمل فوري، ولم أرغب أن ينتظرني.

ـ إنه اهتمام ممتاز بالعمل آنسة سامرز... سنقدّر حماسك هذا كل التقدير. أراك فيما بعد لأرى ما تسير عليه الأمور.

أمضت باميلا الساعة التالية في مراجعة الملفات لتتعرف إلى كافة أوجه العمل في الشركة. كانت تقلب آخر درج عندما فتح بول غراينجر الباب. التفتت إليه فوجدته يحدق إلى ساقيها المتناسقتين اللتين انكشفتا عندما كانت تمد يدها وصولاً إلى رف الخزانة العلوي. فاحمرّ وجهها حرجاً، وابتعدت بسرعة عن الخزانة لتنزل تنورتها إلى الأسفل. فارتفعت عيناه عن ساقيها وأمعنتا النظر في تعابير وجهها المتورد. نظرته مركزة على عينيها وكأنه كان يتصور

أنهما تحملان لغزاً يحاول حلّه.

ثم تكلم بطريقته اللطيفة:

ـ صباح الخير آنسة سامرز. سأحتسي فنجان قهوة ثم سأطلب منك حمل دفتر المواعيد لأراجعها.

ـ أتريد أن أباشر بهذا فوراً أم أنتظر حتى تنهي قهوتك؟

ـ الآن أفضل. ادخلي لنبدأ، فمراقبة مواعيدي من صميم عملك لذا أريد أن أبدأ يومياً بمراجعتها. ماذا عندك اليوم؟

أمعنت النظر إلى دفتر المواعيد:

ـ صباحك اليوم خالٍ من المواعيد أما ظهراً فلديك موعد غداء مع السيد تالبوت أدجلي.. هل أحجز لكما طاولة؟

ـ أجل.. إن السيدة تاوتسند تعرف أي مطعم تختار.. راجعي الأمر معها. لا أظن أن لديّ المزيد من المواعيد هذا اليوم، فالسيد أدجلي يشغل وقت المرء طوال اليوم.

اتسعت عيناها دهشة:

ـ أهو تالبوت أدجلي نفسه؟ أعني ممثل السينما؟

فابتسم بول:

ـ أجل آنسة سامرز، إنه بالفعل ممثل السينما تالبوت أدجلي ساحر النساء. لكنني لا أتصورك من ضمن ذلك القطيع الراعد.

وابتسم لها، فقفزت ألسنة نار قرمزية إلى وجنتيها، وأحست بها تحرقها تحت الكريم الرمادي فتنير وجهها:

ـ أنا في الواقع لست من المعجبات به. ولكن أدهشني أن يزور مكتبنا شخص مشهور مثله.

فتراجع بول في مقعده:

ـ لا يقوم السيد أدجلي بزيارة اجتماعية آنسة سامرز. إنه أحد

زبائننا وفي الواقع، أن بين زبائننا أشخاصاً مشهورين لذا أتمنى ألا يتضرج وجهك كلما طلب أحدهم موعداً.

فتصلبت. إنه يسخر منها. وكأنما خاب أمله عندما رأى أن امرأة بهذه البشاعة معجبة بنجم سينمائي وسيم. أجابته بهدوء بارد:

ـ أنا لست من الصنف الذي يهمل واجبه لأي سبب من الأسباب وأؤكد لك أنني لن أتصرف بطريقة قد تحرج المؤسسة أو الزبون.

هبَّت باميلا من الكرسي وتوجهت إلى الباب متشنجة. جلست وراء مكتبها ثم راحت تستجمع رباطة جأشها قبل أن تتحدث إلى السيدة تاوتسند طلباً لحجز طاولة في مطعم للسيد بول غراينجر. يا لجرأة هذا الرجل! أيتوقع منها التصرف وكأنها آلة فولاذية؟ ألا يمكن لأي كان أن يتأثر حين يرى نجماً سينمائياً؟

لا.. بول غراينجر لا يؤثر فيه أحد. إن له في مضمار عمله مركزاً مرموقاً لذا يسعى إليه نجوم السينما والسياسيون ليدير لهم شؤونهم المالية.. وعلى الأرجح لن يتأثر ولو بشخصية ملكية. ولذلك يتوقع منها أن تتصرف ببرود مثله فلقد قيل لها إنها ما استخدمت في هذه الوظيفة إلا لرزانتها ورصانتها.

حريٌّ بها إن أرادت الاستمرار في هذه الوظيفة، أن تجعل مشاعرها الداخلية منسجمة مع مظهرها الخارجي الذي ابتدعته بكل عناية. سحبت نفساً عميقاً ثم أدارت مقعدها نحو الهاتف لتتصل بالسيدة تاوتسند.

كانت ترجع السماعة إلى مكانها بعد اتصالها بالمطعم حينما دخل تالبوت أدجلي.. فحضرت باميلا نفسها لتتصرف بهدوء:

ـ سيد أدجلي، السيد غراينجر بانتظارك. رجاءً انتظر لحظة

حتى أعلمه بوجودك.

سرعان ما خرج بول ليصافح تالبوت أدجلي.

ـ تالبوت.. ما أروع أن أراك ثانية، تفضل ادخل، وسأخبرك بكافة التفاصيل المتعلقة بوضعك المالي حتى الساعة. آنسة سامرز، ليتك تعدّين لنا القهوة. تالبوت يحبها دون سكر، أليس كذلك؟

ـ صحيح بول.

وضحكا قبل أن يغلق بول الباب وراءهما. أما باميلا فاتجهت حتى تعد القهوة. كانت مهمة سهلة لأنهما يتناولان القهوة دون سكر. دقت الباب بنعومة وأدخلت القهوة إلى المكتب. قدمتها أولاً إلى تالبوت أدجلي، فلم تستطع إلا أن تلاحظ كيف نظر إلى وجهها ومنه إلى يدها قبل أن تعود عيناه إلى وجهها، ثم طافتا في جسدها كله وهي تتحرك لتقدم إلى بول فنجانه.

تورَّد وجهها بطريقة لم تستطع السيطرة عليها. فكان لسوء حظها أن رفع بول نظره في الوقت المناسب فرأى النار منتشرة في وجهها، فحدجها بنظرة ازدراء وكأنها خيبت أمله بتصرفها الطفولي... فاستقامت باميلا ورفعت كتفيها، ثم قالت بلهجة حذرة:

ـ أهناك شيء آخر سيد غراينجر؟

ـ لا، في الوقت الحاضر آنسة سامرز.... لا أريد أن يزعجنا أحد. سأتصل بكِ إذا احتجتك.

خيّم الصمت على الغرفة حينما كانت باميلا تغادر الغرفة.

جلست وراء مكتبها منزعجة من نفسها. ماذا حلَّ بها؟ لقد حظيت أخيراً بالفرصة التي كانت تنتظرها، وها هي مقدمة على فقدها بسبب تصرفاتها السخيفة الطفولية. لماذا تنفعل هكذا؟ ربما

بيرل على حق.. ربما ليس مقدّر لها أن تكون امرأة أعمال ناجحة. إنها تتصرف بطيش كأي فتاة أخرى من اللواتي عمِلنَ لدى بول غراينجر... ما هذه الورطة التي زجّت نفسها بها؟

بعد بضع ساعات اتصل بها عبر الهاتف الداخلي:

ـ آنسة سامرز هل حجزت لنا طاولة للغداء؟ نحن على أهبة الاستعداد للخروج.

ـ أجل سيد غراينجر، يتوقعون في المطعم وصولك في الثانية عشرة والنصف. سأتصل لأخبرهم باقتراب الموعد.

كانت تتحدث هاتفياً عندما التفتت فوجدت عيني أدجلي تحدقان في وجهها.. كانت لحسن الحظ قد استطاعت السيطرة بعض الشيء على نفسها، فتمكنت من منع الاحمرار قبل أن يغزو جسدها. وابتسمت برقّة له وهي تعلق السماعة:

ـ أهناك ما أستطيع مساعدتك فيه سيد أدجلي؟

ـ لا.. في الواقع.

جلس على حافة مكتبها ليمعن النظر في وجهها من جديد:

ـ كنت أتساءل فقط عما يجعل شابة جذّابة مثلك ترتدي هذا الزيّ العتيق، وهذه الثياب المزرية وتضع ماكياج خاص بالمسارح على وجهها في مكتب عمل كهذا؟

شغلت باميلا نفسها ببعض الأوراق:

ـ لا أعرف عمَّ تتحدث سيد أدجلي.

ـ أوه.. أظنك تعرفين تماماً آنسة سامرز. لكنك لا ترغبين في إطلاعي على سرّك. حسناً دعيني أحذرك. أنا رجل لجوج، ولن يطمئن لي بال قبل أن أستخرج السر منك.

خرج بول من مكتبه، يدسّ ذراعيه في كمي سترته الفاخرة:

ـ تعال تالبوت، لا تضيع أفضل ما لديك من وسائل الإغراء هباءً على الآنسة سامرز. وفّرها للفتيات الغريرات اللواتي لا يفهمن شيئاً، لقد أمضيت زمناً طويلاً حتى وجدت سكرتيرة يعتمد عليها مثل الآنسة سامرز، ولن أسمح لك بتخويفها.

فابتسم أدجلي لباميلا:

ـ لا تشرحي لي، أظنني فهمت الموقف بالضبط. يجب أن نرتب موعداً لنتناقش هذا الأمر، متى استطعنا أن نجلس على انفراد.

نظر بول إلى تالبوت وكأنه ينظر إلى من فقد عقله:

ـ هاي تالبوت... أنا عنيت ما قلته لك، توقف عن إزعاج الآنسة سامرز بمزاحك.. إنها ليست من طرازك. ألا تصدق أن هناك نساء محصنات ضد سحرك؟

ـ أوه.. هيا بول.. أنت تعرف كم يروقني التحدي. أعتقد أنني سأتعرّف أكثر إلى فتاتك الجديدة، إنما في أوقات فراغها.

كشّر بول عن أسنانه وهز رأسه:

ـ تالبوت، أنت رجل لا يمكن تشجيعه على شيء.. أيجب أن تقوم بالتمثيل على كل امرأة تصادفها في طريقك؟

التفت تالبوت إلى باميلا يغمزها بعينيه:

ـ هل تعرف يا بول أن ألذّ الأطباق أحياناً تأتيك في غلاف لا يثير الاهتمام. يجب أن تخترق الغلاف لتصل إلى الحلوى الكامنة في الداخل. هل تفهم ما أعني؟

ولحق ببول تاركاً باميلا تحترق ببطء وراء مكتبها... كانت تعض على شفتها عندما دخل تود:

ـ ماذا حدث لك؟ ترتجفين كورقة الشجر.

ـ كان تالبوت أدجلي هنا منذ برهة، وأظنني توترت بسبب قربي من ممثل شهير مثله. لا أعرف ماذا دهاني، فلا أنزعج عادة بـ هولة

فابتسم الفتى:

ـ يجب أن نعتادي على القرب من المشاهير. فزبائن السيد غراينجر مزيج من عليّة القوم والمشاهير في عالم الرياضة والتمثيل. أتعلمين أنه استطاع استثمار أموال بعض الكليات؟

ـ أعلم. وأظنه انزعج من ردة فعلي إزاء السيد أدجلي. إنه يتوقع مني أن أكون تمثالاً، خالياً من المشاعر لئلا يؤثر فيَّ ما أراه في هذا المكتب.

ـ آه نعم، إنه أبرد شخص عرفته. قراراته مبنية على الوقائع والأرقام، والسيدة تاوتسند مثله تماماً. أظن أنهما اختاراك لأنهما اعتقدا أنك تشبهينهما.

انفتح الباب الداخلي الآخر، ودخلت السيدة تاوتسند التي نظرت إلى الفتى ببرود:

ـ أليس لديك واجبات تقوم بها تود؟

غمز تود باميلا غمزة سريعة قبل أن يختفي. فقالت السيدة تاوتسند متوترة:

ـ كان يجب أن أحذرك من تود.. إنه ناقل الإشاعات في المكتب. لو كنت مكانك لما أصغيت له. كيف كان صباحك؟

ـ بدأت أتعلم. لكنني على ما أعتقد خيبت أمل السيد غراينجر قليلاً عندما كان السيد أدجلي هنا. فهي المرة الأولى التي أقابل فيها رجلاً شهيراً مثله، لذا ارتبكت قليلاً.

لم تنزعج السيدة تاوتسند من اعتراف باميلا:

ـ أفهم تماماً عدم ارتياحك عزيزتي. كان يجب أن تهيئك نفسياً قبل أن تتعرفي إلى هؤلاء القوم ممن سترينهم في المكتب، فمقابلة أمثاله على غير توقع يوتّر أعصاب أية امرأة... حتى امرأة رصينة مثلي أو مثلك.

أحست باميلا بأعصابها تثور من جرّاء هذه المقارنة بينها وبين السيدة تاوتسند.. لماذا تظن هذه المرأة أننا من القماش ذاته؟ ألهذا استخدمتني؟ فأجابتها:

ـ أجل.. أنا واثقة أنني بعدما هيأت نفسي لن أتأثر بمثل هذه المقابلات.

فابتسمت السيدة تاوتسند:

ـ وأنا واثقة من قدرتك في السيطرة على أي موقف. لهذا أوصيت بك لتولي هذه الوظيفة. على كل، جئت أسألك إذا كنت مشغولة وقت الغداء، فلدينا ساعة كاملة. وظننت أنك قد تتمتعين بالغداء في مطعم قريب يقدّم أفخر المأكولات.

لم تجد باميلا طريقة مؤدبة للرفض فكان أن خرجت المرأتان. ولكن الغداء مع السيدة تاوتسند كان تجربة قاسية، لذا تنفست باميلا الصعداء حالما عادت إلى مكتبها الذي ما يزال شاغراً من رئيسه. اغتنمت الفرصة لتتأمل مظهرها، ولتستجمع أفكارها. فقد أمضت السيدة تاوتسند معظم وقت الغداء تبحث في حياة باميلا الخاصة. وكأنها كانت تحاول اكتشاف أكبر قدر ممكن من المعلومات عن ماضيها. وقد بذلت باميلا جهدها لتغيّر دفّة الحديث، ومع ذلك وجدت الأمر مثيراً للأعصاب، فصمّمت في المستقبل على تجنب السيدة ما وسعها إلى ذلك سبيلاً.

عندما عاد بول وتالبوت من الغداء كان الوقت متأخراً بعد

الظهر. فتح بول باب مكتبه منتظراً من الرجل الآخر الدخول. . . لكن تالبوت جلس على حافة مكتب باميلا قائلاً:

ـ ادخل يا بول، فأنا أسعد من أن أفكر في العمل. أريد معرفة المزيد عن سكرتيرتك المغوية هذه.

ترك بول الباب ودنا من تالبوت ليمسك ذراعه. فلاحظت باميلا أن بول على الرغم من شهرة تالبوت ونجوميته هو المسيطر.

أذهلتها نظرته الفولاذية وصوته البارد:

ـ فلنذهب تالبوت. . . عنيت ما قلت عن الآنسة سامرز، فدعها وشأنها.

ثم قاد تالبوت إلى مكتبه دون أن ينظر إلى باميلا. بعد برهة قصيرة عاد إلى المكتب الخارجي:

ـ أعتذر من تصرفاته آنسة سامرز. لعله لم يزعجك كثيراً. إنه لا يقصد الضرر. لا أفهم ما يدفعه إلى إزعاجك. إنه يحب مغازلة فتيات المكتب الشابات، ولكنه لم يحاول مرة التلاعب مع السيدة تاوتسند، وأنت بالتأكيد تشبهينها أكثر من أي فتاة أخرى.

فردت باميلا:

ـ أرجوك، لا تفكر في الأمر. إنه يحاول أن يكون لطيفاً ليشعرني بأنني شابة جذّابة. . . أنا أعرف مركزي، لذا لن أترنّح أمام تصرفاته الناعمة.

ـ أنا مسرور بهذا آنسة سامرز. ولا أستطيع أن أصف لك مدى راحتي بسبب وجود شخص صادق متعقل في مكتبي. ما اعتقدت أنني سأجد من يحلّ محل السيدة تاوتسند حتى جئتِ أنت.

ارتجفت باميلا عند ذكر صدقها. . . فهل هناك ما هو أعظم كذباً وأشدّ خداعاً من التمثيلية التي تقوم بها؟ ماذا سيظن بول بها لو

اكتشف هويتها الحقيقية؟ وإلى أي مدى قد يذهب تالبوت أدجلي في محاولة اكتشاف ما يختبىء وراء الماكياج والثياب العتيقة؟

جذبها صوت بول الهادىء إلى الحاضر:

ـ هل تلقيت رسائل أو مخابرات أثناء غيابي؟

ناولته كومة من أوراق الرسائل الهاتفية وقالت:

ـ دعتني السيدة تاوتسند لمشاركتها الغداء فكان أن استلمت موزعة الهاتف بعض الرسائل أثناء غيابي. سأتحقق من الرسائل قبل أن أقدمها لك.

ألقى بول نظرة على الرسائل:

ـ شكراً لك آنسة سامرز. كل شيء واضح. . لديّ بعض الرسائل أمليها عليك. وحسبما أرى، سيبقى تالبوت في مكتبي ما تبقّى من هذا اليوم، لذا سأجلس معك على كرسي للبدء بالعمل هنا.

أمضت باميلا بعد الظهر في كتابة الرسائل، وقد بقي بول معها حتى انتهى فتركها تطبع الرسائل، وتوجّه إلى مكتبه، فنظرت إلى ساعتها، إنها الخامسة الآن، فلو وقّع هذه الرسائل لحملتها إلى غرفة البريد في الوقت المحدد قبل أن يخرج آخر بريد من الشركة.

طرقت الباب بخفة، وعندما أجاب دخلت. نظرت إلى الأريكة فوجدت تالبوت ممدداً عليها يغطُّ في نوم عميق. سألها بول:

ـ ماذا تريدين آنسة سامرز؟

أعطته الرسائل، فلامست أصابعه أصابعها التي شعرت وكأن قطعة حديدية ساخنة قد مسّتها. نظر إلى يدها قليلاً وهي تسحبها، ثم رفع نظره إلى وجهها. فالتقت عيناه بعينيها وابتسم بحيرة:

ـ لا تخفي يديك آنسة سامرز. . إنهما جذابتان حقاً، بل

تبدوان في الواقع كيدي فتاة شابة. من الواضح أنك لم تقومي بأعمال يدوية بهما، ولا سبب يدعوك للخجل بهما.

وترّت نظرته أعصاب باميلا ولكن تحرّك تالبوت على الأريكة أنقذها من الإحراج... سمعته يقول:

ـ ألم أقل لك إن الآنسة سامرز مليئة بالمفاجئات المخبأة، فيداها ناعمتان فتيتان، ساقاها مديدتان رائعتان. وأعتقد أنها مثالية في دور المتنكرة. أتريد أن تجرب بول؟

ـ أرى أنك قررت العودة إلى عالم الأحياء... وما زلت على ما أنت عليه، فما إن صحوت حتى نطقت بكلمات تتعلق بالجنس الآخر. ألم أقل لك إن الآنسة سامرز بعيدة عن مرمى يدك؟

ـ حسناً.. إذا كان هذا هو شعورك الحقيقي. ولكنني أظنك تفقد فرصة العمر. والآن أتسمح الآنسة الغامضة أن تجلب لي فنجان قهوة مرة، وسأكون لك من الشاكرين؟

كانت باميلا تتوق إلى عذر لتغادر الغرفة فكان أن تركتها بسرعة، وفي الخارج وبينما هي تصبّ القهوة حاولت السيطرة على نفسها. عندما أنهت ما في يدها سحبت نفساً عميقاً ثم رفعت كتفيها، وجمّدت وجهها بتعبير رصين، وعادت إلى المكتب. ابتسم لها تالبوت ابتسامة غامضة قبل أن يتناول الفنجان من يدها المرتجفة. فاستدارت بسرعة إلى طاولة بول. وراحت تراقبه حتى أنهى توقيع آخر رسالة.

ـ وقّعت الرسائل جميعها آنسة سامرز. حالما تسلمينها لتود توجهي إلى منزلك، فلا أظن أن لديّ عملاً آخر يتطلب اهتمامك العاجل.

هزت باميلا رأسها وهي تحس بالراحة لتمكنها من الابتعاد عن

تالبوت أدجلي وعينيه الثاقبتين. ثم إن عليها التوجه إلى المعهد المسائي.

كان المعهد المسائي أمراً مرهقاً لها، لذا شعرت بتعب شديد عندما عادت إلى شقتها... صاحت بيرل من المطبخ:

ـ أهذه أنت بام؟ تعالي إلى المطبخ... يا إلهي.. منظرك مخيف. اذهبي واغسلي هذا الماكياج عن وجهك.. أظنك ستنهارين بسببه. لماذا لم تغسليه قبل ذهابك إلى المعهد؟

دخلت باميلا الحمام حيث راحت تمسح الماكياج عن وجهها:

ـ تأخرت في الوصول إلى الصف، فلم يتسنّ لي الوقت لأزيله. لكنك على حق. بدأت بشرتي تزعجني.

ارتدت روباً قطنياً طويلاً، ثم جلست إلى الطاولة مقابل بيرل، لتمدّ يدها إلى السندويشات الجاهزة على الطاولة.

ـ شكراً بيرل، أنا متعبة جداً، وأشك في قدرتي على تحضير أي طعام.

ـ تسرني صحبتك بام. كنت أتمرّن على دوري في مسرحية جديدة تبدأ في الخريف، بطلها تالبوت أدجلي. إنها تجربته الأولى في المسرح ولكنني واثقة من نجاحها نجاحاً ساحقاً.. إنها فرصتي التي كنت أترقبها.

فقالت باميلا من غير تفكير.

ـ ألهذا هو هنا الآن؟

ـ لهذا من هنا؟ عمن تتحدثين باميلا؟

ـ عن تالبوت أدجلي.. كان في مكتبنا اليوم.. فبول يتولى أموره المالية.

ـ كان تالبوت أدجلي عندكم في المكتب؟ كلمته حقاً؟ باميلا

ردي عليّ!

ـ أجل كلمته.. تقريباً.

لمعت عينا بيرل:

ـ بام... أنت تعرفينه؟ أرجوك حدّثيه عني إذن؟ أعلم أنني قد أقوم بدور أفضل لو لاحظ وجودي. أنت تعرفين ما يحدث في مثل هذه المسرحيات.. هناك الكثير من الفتيات الجميلات، لكن لو نظر إليَّ تالبوت أدجلي فإني واثقة بأنني سأكون أوفر حظاً. يجب أن تساعديني بام.. أرجوك!

ـ لا أدري ما يمكنني فعله بيرل، فأنا لا أكاد أعرف الرجل. فلست بالنسبة له إلا سكرتيرة بول غراينجر فقط. مع أنني أظنه يشك فيَّ بسبب هذا الماكياج، ولا أستطيع المخاطرة بأن يكتشف حقيقتي.

رفضت بيرل التراجع:

ـ انظري.. ألا يمكن أن ألتقي بك للغداء، أو أي شيء من هذا القبيل؟ أعني أليس هناك طريقة لتقدميني له، أو لتمرير كلمة طيبة عني؟

ـ يا إلهي بيرل.. لا أعرف ما يمكنني عمله. فلا أظن أن السيد أدجلي آتٍ إلى المكتب غداً، ولو حاولت التكلم بالأمر مع السيد غراينجر لطردني. إنما أعدك: سأحاول التفكير في أمرٍ ما وسأساعدك إذا استطعت.. أنت أفضل صديقة عندي بيرل. وتعلمين إنني أفعل ما أستطيع لمساعدتك.

* * *

٣ ـ ماذا أفعل؟

وصلت باميلا باكراً إلى المكتب في اليوم التالي، وبما أن البريد لم يكن قد وصل بعد، لم تجد ما تفعله إلا الجلوس ضجرة تنتظر رنين الهاتف. أخرجت كتابها وبدأت تقرأ درسها التالي.

كانت غارقة في محاولة فهم مادة تقنية عويصة عندما انفتح باب المكتب الخارجي، فرفعت نظرها متوقعة رؤية تود أو السيدة تاوتسند. ولكن صوت بول غراينجر العميق حيّاها:

ـ صباح الخير آنسة سامرز... أنت مبكرة في الحضور، أليس كذلك؟

ـ أحب الحضور باكراً لأنه يمهلني الوقت لأنظم عملي. أظنك بكّرت أنت أيضاً اليوم، فقد قالت السيدة تاوتسند إنك لا تصل عادة قبل العاشرة إلا ربعاً.

ـ هذا صحيح. لكن عندما قبلت بكِ موظفة عندي، إذا كنت تذكرين، ذكرت أن عملنا لا وقت محدد له وأننا نعمل حسبما تقتضي الحاجة. لماذا تقرئين هذا الكتاب التحليلي؟ إنه تقني عويص. أتفهمين ما تقرأينه؟

ـ ليس كل ما أقرأه أفهمه. أجد بعضه عويصاً عندما أقرأه للمرة الأولى ولكنني أتلقى دروساً في هذا الموضوع وسأفهمه أكثر بعد أن

يشرح لنا الأستاذ في الصف.

رفع بول رأسه، وضاقت عيناه:

ـ إنها معلومات دقيقة. أليس كذلك؟ منذ متى تتلقين دروساً، وما هي نواياك المهنية؟

فكرت باميلا ملياً قبل أن ترد. هذه هي فرصتها لتبوح له بما تطمح إليه في المضمار المالي. وإن اختارت كلماتها بدقة، تجعله يدرك أنها تريد من الحياة أكثر من وظيفة سكرتيرة. لذا لن تضيع هذه الفرصة الثمينة لتعلن نواياها:

ـ بدأت الدروس منذ قدِمتُ لندن، أي منذ سنتين. أود في النهاية العمل في التخطيط والتحليل المالي. وكلي أمل أن أنتقل من وظيفة السكرتارية بعد إنهاء الدروس.

ـ عظيم آنسة سامرز. أزداد تأثراً بمواهبك كلما تعرفت إليك. اسمعي يا آنسة لقد درست التحليل السكرتاري على يد مؤلف هذا الكتاب عندما كنت في جامعة أوكسفورد أدرس إدارة الأعمال، وسأكون سعيداً بشرح ما استعصى عليك فهمه.

توجّه إلى مكتبه، ثم التفت إليها مبتسماً:

ـ يجب أن أقول إنني غير سعيد بفكرة خسارة سكرتيرة كفوءة، فقد أمضيت وقتاً طويلاً حتى وجدتك. ربما نستطيع ترقيتك إلى مساعدة شخصية لي، لنبقي على قدراتك معنا. يجب أن نجلس معاً لنباحث الموضوع يوماً ما. على أية حال، اليوم يوم عمل شاق، فأسعار الفضة تتقلب في بورصة نيويورك. ولديّ عدة زبائن قد يهتمون بالشراء إذا انخفض السعر. اتصلي بوكيلنا في نيويورك لأتباحث معه الموقف.

أتمت باميلا الاتصال الدولي، وما كادت تعيد السماعة مكانها

حتى عاد الهاتف إلى الرنين. أجابت فإذا بها تتعرف إلى صوت بيرل:

ـ پام. هل وجدت فرصة مناسبة للتحدث إلى تالبوت أدجلي؟

ـ بيرل أأنت مجنونة؟ الساعة لا تتجاوز الثامنة والنصف، وأشك في أنه قد خرج من سريره بعد... ثم إن إشراك الزبائن في أمور شخصية أمر ممنوع.

ـ حسناً.. لكن إن استطعت، أكن لك شاكرة.. الأمر مهم جداً بالنسبة لي. سأخرج من المنزل الآن، أريد الوصول باكراً حتى تتاح لي فرصة تقويم منافساتي.

ـ حظاً سعيداً بيرل. إن استطعت فعل شيء أقم به.

ورنَّ الهاتف الداخلي فور إقفالها الخط كذلك، فردت على بول.

ـ أرجو أن تدخلي إلى مكتبي آنسة سامرز. لديَّ ما يتطلب اهتمامك العاجل.

كان على مكتبه أكوام من الأوراق المبعثرة، وكان يتحدث هاتفياً، فأشار بالجلوس ثم غطى السماعة بيده ليعطيها ورقة:

ـ اتصلي بالأشخاص المدوّنة أسماؤهم هنا. أعطيهم سعر الفضة الحالي، واسأليهم إن كانوا يريدون شراء كمية ما لهم. ثم راجعيني حالما يوافق أحدهم.

وأشار إليها بالخروج ثم تابع حديثه الهاتفي.

أمضيا النهار بطوله وكلٌّ منهما وراء مكتبه، وقد بقيت باميلا مشغولة تنفّذ المهام التي يطلبها منها بول الذي كان مشغولاً دائماً على الهاتف يراجع الأسعار ويبتُّ في المشتريات والمبيعات. وعند الثانية عشرة ظهراً اتصلت باميلا لإحضار السندويشات فتناول كلٌّ

منهما طعامه على مكتبه، وتابعا العمل بكدّ حتى الثامنة مساءً. حيث أدركت أنها فوّتت على نفسها الصف الليلي ولكنها تجاهلت الأمر، لأنها وجدت نفسها ستتعلم من عملها الحالي أكثر مما ستتلقاه في المعهد.

أطلقت تنهيدة ثقيلة وهي تكدّس رزمة الأوراق فوق مكتبها، وابتسمت لنفسها مفكرة كم كان هذا الصباح مخادعاً بهدوئه.. ثم وقفت تقرع باب بول بخفة. كان يسند رأسه إلى ظهر مقعده ويداه معقودتان بارتياح خلف رأسه، وابتسامة رضى ترتسم على شفتيه مما جعل مظهره يختلف تماماً عن تلك الآلة الديناميكية غير المبالية التي كانت تعمل معها طوال النهار.

استوى في جلسته ووضع يديه على الطاولة:

ـ حسناً آنسة سامرز. لقد كان يومنا من أنجح الأيام... مؤسسة غراينجر جنت ثروة لبعض زبائنها. ولهذا بالطبع، يدفعون لنا. أنا مقدّر لك المساعدة التي قدمتها... لقد عملت حتى وقت الغداء، وها هي الساعة الآن الثامنة ولم تتناولي العشاء بعد. هل لديك مواعيد هذه الأمسية؟

فابتسمت باميلا:

ـ حسناً... كان لدي دروس في السادسة والنصف. ولكنني تعلمت هنا عن الصفقات المالية في يوم واحد أكثر مما سأتعلمه في المعهد في شهر واحد.

ـ أتقصدين أنك ما زلتِ تجهلين أموراً كثيرة؟ لقد توليت أمر كل شيء اليوم بمنتهى الدقة حتى أصبحت أؤمن أن ما من شيء لا تصل إليه قدراتك، وبما أنك لم تتغدي ولم تتعشي، وبما أنك خسرت دروسك بسببي أراني مجبراً على أن أعوض عليك

خسائرك. لذا، أدعوك للعشاء. وأثناء العشاء سأشرح لك تعقيدات الميزانية العامة لئلا يفوتك شيء من الدروس.

تورّد وجه باميلا ولكنها تتوق للعودة إلى المنزل لتنظّف وجهها من الماكياج الذي أخذ يؤلم بشرة وجهها:

ـ لا حاجة إلى دعوتي سيد غراينجر.. كنت أقوم بواجبي فقط، سبق أن قلت لقد تعلمت اليوم أكثر مما تعلمته في المدرسة.

فابتسم لها:

ـ لكنني مصرٌّ على اصطحابي للعشاء، كي أزيد معلوماتك في حقل الاقتصاد. والآن اذهبي ورتبي نفسك بينما أقوم بحجز الطاولة. لا أريد احتجاجاً آخر مفهوم؟ عندما تمضين معي في العمل فترة أطول، ستعرفين أنني أصرّ دائماً على ما أريد.

فابتسمت باميلا وخرجت إلى مكتبها. إنَّ الترتيب الوحيد الذي ترغب فيه الآن هو إزالة هذا الماكياج عن وجهها وخلع هذه الملابس الثقيلة الوطأة على نفسها. لم يكن لديها رغبة في أن يراها أحد علناً في هذا الزيّ المخيف. لكن ما من طريقة للتخلص منها ما دامت برفقة بول غراينجر. لقد علقت تماماً في فخ نصبته لنفسها، وأملها الوحيد الآن أن ينهي بول العشاء بسرعة، فهي واثقة من رغبته في الابتعاد عنها بأسرع وقت ممكن. وهو ما دعاها إلى العشاء إلا تأدباً.

عندما عادت إلى مكتبها من الحمام، كان بول يجلس على حافة مكتبها منتظراً.

ـ كل شيء على ما يرام، حجزت طاولة في مطعم فرنسي يطل على المسرح المكشوف في «ريجنت بارك» وهو ملتقى مشاهير

الممثلين، فيه ستتمكن من العشاء براحة وهدوء.

قاد السيارة ببطء في شارع البورصة المهجور في مثل هذه الساعة:

ـ غريب كيف يموت هذا المكان كل مساء. يكسب الناس المال هنا ولكنهم يصرفونه في أماكن أخرى بعد الظلام.

عندما اقتربا من منطقة المسارح رأت أنوارها تضيء عتمة المساء وكأنها شمس اصطناعية. أوقف بول السيارة أمام واجهة مطعم فاخر تضيئه أنوار زرقاء، وسارع حارس الباب لفتح باب باميلا فأعطاه بول مفاتيح السيارة ليبعدها عن المدخل. حيّا الحارس والسائق الرديف بول باسمه، فتبين لباميلا أنه زبون دائم.

نظر رئيس الخدم إلى باميلا بفضول، ثم حيّا بول بابتسامة حارة:

ـ تسرني رؤيتك سيد غراينجر... طاولتك جاهزة.

ـ شكراً لك. همفري، أقدّم لك الآنسة سامرز، سكرتيرتي.

ابتسمت باميلا لهمفري، فلاحظت وميض التفهم على وجهه.. فقد اقتنع أنها ليست سوى موظفة وقال له:

ـ دهشت لأنني لم أشاهدك مع الآنسة هاليداي. ولكنني فهمت الآن.

ـ لقد سافرت الآنسة هاليداي إلى فرنسا، لذلك ستراني وحيداً بضعة أسابيع. أتصورني مضطر إلى الاعتياد على حياة الوحدة والعزوبية. أنت تعلم كم أكره الأكل وحدي، لذا أنا شاكر للآنسة سامرز قبولها دعوتي الليلة.

رفض بول لائحة الطعام قائلاً:

ـ قدّم لنا كأسين من العصير، وإن كانت الآنسة سامرز تثق

بحكمي أطلب العشاء بنفسي.

هزت باميلا رأسها شاكرة، يجب عليها ألا تقوم بأي مجهود، فبشرة وجهها تؤلمها بشكل فظيع، والنظارة تزداد ثقلاً. راحت تدعو ربها حتى تنتهي هذه الأمسية بسرعة.

فجأة سمعت صوتاً مألوفاً لديها:

ـ بول غراينجر.. تصور أن نلتقي هنا، ومع السكرتيرة المفضلة عندي. سمعت أنني كسبت ثروة هائلة في سوق الفضة اليوم. ألهذا تحتفلان؟

ـ أبداً تالبوت... فقد عملت والآنسة طوال اليوم بكد حتى نسينا أن نأكل، أضف إلى هذا أن الآنسة لم تستطع للسبب نفسه الذهاب إلى المعهد فكان أن قررت أننا نستحق عشاءً مريحاً، فاصطحبتها إلى هذا المكان. والآن، توجّه إلى طاولتك لتنهي العصير ونطلب العشاء.

ـ أبداً! لن أسمح بهذا! بما أنكما تعبتما من أجل أن تزيدا كمية الذهب في حسابي، فأقل ما يمكن فعله هو تقديم العشاء لكما. ذهبت رفيقتي الجميلة لتصلح زينتها وستعود قريباً، وعندها نتمتع جميعاً بعشاء لذيذ.

أشار إلى همفري ليضيف مقعدين آخرين إلى الطاولة. جلس إلى جانب باميلا وعندئذ علمت يقيناً أن لا شيء قد يزيدها انزعاجاً أكثر من جلوسه قربها.

وقف بول وتالبوت ليحييا رفيقة الممثل فشهقت باميلا عندما قام تالبوت بتقديم الفتاة:

ـ بول، أود أن أعرفك إلى بيرل دورمن. آخر اكتشافاتي.

وابتسم في وجه باميلا المذهولة:

ـ أعتقد أنك تعرفين الآنسة دورمن.

نظرت باميلا إلى بيرل، التي بدت مصعوقة مثلها ولكن تدريبها المهني في حقل التمثيل أعاد إلى وجهها صفاءه بسرعة، فهزت رأسها لباميلا، مشيرة إلى سيطرتها على الموقف.

جلست بيرل على كرسيها تبتسم برقة للرجلين. ثم قالت بصوتها الرخيم:

ـ تصوري دهشتي هذا الصباح عندما وصلت باكراً إلى المسرح، فوجدت وأنا أحدّث تالبوت حديثاً عابراً أنه يعرف شريكتي في السكن.

فدهش بول:

ـ أنت والآنسة سامرز تتشاطران منزلاً واحداً؟

ارتدّ تالبوت في كرسيه ضاحكاً:

ـ أجل... تصور كم دهشت عندما قالت بيرل إن لنا صديقاً مشتركاً.. مع إنني يجب أن أعترف أنني لم أدهش نصف دهشتك الآن. ماذا دهاك بول؟ ألا تتوافق الوقائع مع الأرقام؟

بدا الانزعاج على وجه بول بسبب هذه المفاجأة:

ـ من الطبيعي أن أدهش عندما أجد أن صديقة أحد زبائني هي زميلة سكرتيرتي في السكن. يجب أن تعترف أن الصدفة مدهشة.

فابتسم تالبوت لبول وهو ينظر إليه نظرة الرجل الذي يعرف سراً لن يشاطره إياه.

ـ لا أدري لماذا يدهشك الأمر. ليس في مشاطرة فتاتين جميلتين غير متزوجتين شقة واحدة ما هو غير عادي.

استرد بول رباطة جأشه من الصدمة الأولى، وقرر ألا يستسلم لغمزات تالبوت:

ـ أنا مدرك تماماً مدى سحر ضيفتي، فقد أمضيت الساعات الاثنتي عشرة برفقتها. وها أنا الآن أرى أن الآنسة دورمن ساحرة أيضاً. لذا يسرني أن أعلم أنهما زميلتان. والآن إن كنت لا تمانع، أريد أن أطلب العشاء. لقد وعدت الآنسة سامرز بعشاء هادىء. ولكنها لم تحصل عليه بعد. سأطلب العشاء لي وللآنسة، فهل تود أن أطلبه لكما؟

نظر تالبوت إلى بيرل التي ابتسمت موافقة وقالت:

ـ إن هذا دون ريب سيكون رائعاً سيد غراينجر. أرجوك نادني «بيرل».

كان بول يحدق في وجه باميلا عندما كانت تنهي تناول الحلوى المشبعة بالشوكولا مع فنجان القهوة المرّة:

ـ آنسة سامرز... لقد جعلتني أحسّ أن مالي لم يذهب سدى... فلا أستطيع أن أصف لك كم أكره أن أدفع ثمن طعام ثم يعود إلى المطبخ كما هو.

رفع تالبوت حاجبيه:

ـ أوافقك الرأي بول، باميلا جوهرة بين النساء... ستكون غبياً إن تركتها تفلت من يدك، العشاء على حسابي، لذا يجب أن نعتبر أن مالي لم يذهب هدراً.

ـ شكراً لك تالبوت. لقد كنت مضيافاً كريماً، وبما أنه لدينا غداً عمل شاق، فيستحسن أن نترككما. فأنتم الممثلون تنامون حتى الظهر أما البورصة فتفتح في العاشرة. ويجب أن نستيقظ أبكر من هذا الوقت بكثير.

أمسك بكرسي باميلا وهي تقف، ثم ابتسم لبيرل قائلاً:

ـ يسرني التعرف إليك بيرل، وأنا واثق أننا سنتقابل فيما بعد.

وضع يده على خصر باميلا التي كانت تلقي بدورها التحية ثم اقتادها بحزم نحو الباب، ومنه إلى السيارة التي سارع حارس الباب بإحضارها لهما.

استدار إليها وهو خلف المقود متسائلاً:

ـ أتشعرين برغبة في نزهة للاسترخاء، أم تودين العودة إلى المنزل؟

عضت باميلا على شفتها بتوتر، فإن لم تغمر جسدها بماء ساخن حالاً فستنهار تماماً. وعندها لن يلزم بول غراينجر سوى تشجيع بسيط لتعترف له بكل تنكرها البغيض، رامية نفسها تحت رحمته.. لا تشك أبداً في ردة فعل رجل المال الجبار عندما يجد نفسه ضحية لخداعها.. لذا أخفضت رأسها وقالت:

ـ أنا متعبة حقاً. كان اليوم كله تجربة مرهقة لي، وأعتقد أنني لا أستطيع الانتظار حتى أعود إلى المنزل لأسترخي في مغطس ماء حار.

ـ رغباتك أوامر، فلا تعتذري. على كل، أدين لك بدرس عن الميزانية، ولكننا سنؤجله حتى تكوني أنشط ذهناً. أعطيني التعليمات لتحملك مركبتي السحرية إلى منزلك في لمح البصر.

أعطته العنوان، وما هي إلا فترة قصيرة حتى كان يوقف السيارة أمام المبنى. فشكرته للعشاء، وتهيأت للترجل من السيارة، لكنه أشار إليها بالبقاء، واستدار ليفتح الباب لها. ثم لحق بها إلى المبنى.

ـ أرجوك لا تزعج نفسك. سأكون بخير، فأنا معتادة على العودة وحدي من المعهد ليلاً. سترتكب مخالفة إن أوقفت السيارة في هذا المكان المحظر.

ـ هراء! لن أتركك تدخلين منزلك وحدك. سأوصلك حتى الباب، أما أمر المخالفة فسأهتم بها.

لم تعرف كيف تجيبه إذ سرعان ما أمسك يدها، وأخذ يمرر أصابعه على خطوط راحتها بخفة. انطلقت ارتعاشات رقيقة تتسابق في جسد باميلا وتدفع قلبها إلى الخفقان بجنون، فسحبت يدها بسرعة.

ـ تأخري إن شئت في القدوم إلى المكتب غداً. فقد كان يوماً متعباً وتستحقين بضع ساعات نوم إضافية في الغد.

لوّح لها مودعاً، وأسرع يهبط الدرج.

أقفلت باميلا باب الشقة وأسرعت إلى غرفة النوم ترمي النظارة وتنزع ملابسها وتسرع إلى الحمام لتفتح الماء على الحوض، ثم وقفت أمام المرآة تزيل الكريم التنكري عن وجهها. حدّقت إلى بشرتها الملطخة بقلق، فقد رأت بشرتها الناعمة الرقيقة تتأثر بشكل سيء. ثم أقفلت الماء عن الحوض ووضعت أملاحاً معطرة، ثم غمرت نفسها في أعماقه الحارة.

خرجت من الحوض عندما برد ماؤه، فراحت تجفف جسدها بمنشفة سميكة، ثم ارتدت روباً قصيراً وخرجت إلى غرفة الجلوس حيث جلست غير قادرة على الدرس، فالتعب قد أخذ منها مأخذه وهي إلى ذلك متأثرة بأحداث اليوم بحيث لن تستطيع النوم فوراً. لذا قررت أن تستلقي على الأريكة لتشاهد فيلماً يعرض على التلفزيون.

كادت تغفو على الأريكة عندما أحست ببيرل تضع المفتاح في قفل الباب ولكنها كانت متعبة نعسى، فبقيت على حالها تنتظر دخول بيرل. دخلت بيرل جذلى إلى غرفة الجلوس ولكنها لم تكن

وحدها... بل معها تالبوت الذي تسمّر في مكانه ينظر إلى باميلا ممددة على الأريكة قبل أن يطلق صفيراً منخفضاً:

ـ أنت حقاً «سندريلا»!

جلست باميلا بسرعة، واضعة ساقيها تحتها لتخفيهما. ولكن تالبوت غرق في مقعد ذي ذراعين ممدّداً قدميه أمامه وكأن الحرج الذي استولى عليها لم يترك فيه أثراً.

جلست بيرل على ذراع مقعده فلفّ ذراعه حول خصرها. قالت بيرل لباميلا بقلق:

ـ أرجوك لا تغضبي مني پام. أخبرت تالبوت كل شيء عن تنكرك. كان يشك في أمرك، وأنا أوضحت له الموقف فقط. أرجوك پام... لا تظهري هذه التعاسة، لقد وعدني تالبوت بكتم السرّ، فلا تقلقي. ما كنت لأخبره لولا ثقتي به. تعرفين أن صداقتك عندي أثمن من كل شيء.

أصبحت تعابير تالبوت جادة:

ـ ما تقوله صحيح باميلا.. فلا يضلّنك ما سمعته عني، أو ما رأيته مني من تصرفات أمام بول. فما أنا إلا فتى ريفي صغير حصل على فرصته في عالم السينما. لكنني لم أنسَ قط أصلي، وأيامي السعيدة التي قضيتها في موطني الذي أتوق للعودة إليه لأسكن في كوخي القديم المؤلف من غرفٍ ثلاث، ولأصطاد السمك والطيور... لست معقداً كما بدوت لك، لكنني ممثل بارع، أحب أن أمثل على بول. إنه أحد ألطف الناس الذين أعرفهم، ولكنه مستقيم استقامة أكاد أجن منه. ولهذا كنت مسروراً لسماع خبر خداعك له.. ربما سيلين قليلاً عندما يكتشف كم كان مخدوعاً.

فشهقت باميلا:

ـ لا! يجب أن لا يعرف. فلن يسامحني على خداعي، وفي الواقع أشعر بحزن فظيع بسبب ما فعلت.. عدني ألا تخبره شيئاً.

كان صوتها يتقلب بين الغضب والرغبة في البكاء.. فرقّ لها وجه تالبوت:

ـ هوني عليك باميلا. لن أفعل ما يكدرك أبداً.

ثم رفع عينيه فاستقرتا على وجه بيرل التي كان يشد خصرها:

ـ وأنا بكل تأكيد لن أفعل ما يجعل بيرل تغضب مني. لن أقول شيئاً لبول إذا لم ترغبي. لكنك لن تتمكني من تحمل هذا الماكياج طويلاً.. انظري إلى بشرتك التي بدأت تنهار.

كانت باميلا على وشك البكاء وهي تقول:

ـ لا أدري ماذا أفعل، فأنا أحب عملي حقاً. فالعمل مع بول رائع. إنه يعاملني كشخص له عقل يفكر، لا كقطعة لحم فارغة الدماغ. لكنني أعرف أنني لن أتمكن من الاستمرار بوضع هذا الماكياج، ولا أدري ماذا سيحدث عندما يعرف الحقيقة.

فتنهدت بيرل:

ـ أظنك تضخمين الأمر. تالبوت موقن من تمسك بول بك. لذا لا تخشي شيئاً فلن يصرفك من العمل عندما يعرف خاصة وأن لما فعلته سبباً وجيهاً، فلم يكن قصدك من هذا التنكر المزاح، وعليه أنا متأكدة من أن بول سيتفهم عذرك.

هزت باميلا رأسها بتعاسة:

ـ لا أظن هذا. إنه يضع الصدق في المرتبة الأولى. ولا أظنه سيتفهم خدعتي أبداً مهما كانت أسبابي وجيهة. آه، لا أعرف ماذا أفعل.

ـ حسناً.. ثمة شيء واحد أكيد وهو أنك لن تستطيعي المواظبة

على وضع هذا الماكياج... فقد ساءت حال بشرتك ولا أحسبك تحتاجين إلى المزيد من الماكياج لتزداد حالها سوءاً، ضعي فقط بعض المساحيق فوق الانتفاخ الاصطناعي على أنفك، ودعي سائر وجهك دون أقل مسحوق. فالنظارة والبشرة المبقعة تكفي لإظهار قباحتك.

هبَّ تالبوت عن مقعده وضغط على كتفي بيرل:

ـ بيرل على حق باميلا.. إن أسوأ ما قد يحصل هو أن تفقدي وظيفتك. وإن حدث ذلك أستخدم معارفي لأجد لك وظيفة أخرى... سأترككما الآن. أراك وقت الغداء غداً يا بيرل.

وصلت باميلا في الثامنة من صباح اليوم التالي فباشرت بترتيب الأوراق المبعثرة من جرّاء عمل الأمس. أرادت أن يكون كل شيء في مكانه عندما يصل ليستطيع البدء بالعمل فوراً. كانت تفرّق الطلبات حينما دخلت السيدة تاوتسند إلى المكتب.

أعطت السيدة لباميلا بعض الأوراق لتعمل عليها ثم ارتدّت على عقبيها ولكنها ترددت وكأنها غير واثقة مما ستقوله:

ـ لا أعتقد أن الأمر من شأني آنسة سامرز، ولكنني لاحظت أنك لا تضعين الماكياج الثقيل اليوم.

توقف قلب باميلا عن الخفقان وهي ترى يوم الحساب ينفتح أمامها... ولكن السيدة تاوتسند أكملت بصوت متعاطف غير عادي:

ـ أستطيع أن أفهم لماذا تغطين بشرتك بغطاء كثيف من الماكياج، ولكنني آمل أن تدركي أن هذا غير ضروري في مركزك الحالي. فالسيد غراينجر لم يستخدمك لمظهرك الجميل، فكما سبق أن قلت لك إنه لا يؤمن بمزج العمل بالمتعة، ولا تؤثر فيه

جاذبية موظفاته، لذا لا حاجة إلى إخفاء بشرتك المسكينة تحت طبقة من الماكياج. أرجو ألا أكون قد أغضبتك أو أهنتك، فأنا أكره التباحث في الأمور الشخصية في المكتب. لكنني أريد منك أن تعرفي أننا مسرورون من عملك حتى باتت حقيقة مظهرك لا تهمنا.

وغادرت المكتب قبل أن تستعيد باميلا رشدها.

كان فم باميلا مفتوحاً، وعيناها متسعتان دهشة عندما انفتح فجأة الباب الذي ولج منه بول غراينجر حليق الذقن، تتصاعد منه رائحة كولونيا عطرة.

ـ صباح الخير آنسة سامرز.

ونظر إلى وجهها، فعلمت أنه لاحظ الفرق في مظهرها. ولكنه كان أكثر تأدباً من أن يذكره دون أن يضيف كلمة واحدة. استدار بهدوء ليختفي في مكتبه.

مرّ اليوم بسرعة بحيث لم تعِ باميلا مرور الوقت عندما دخل بول مكتبها.

ـ إنها الساعة الخامسة آنسة سامرز.. أليس لديك دروس الليلة؟

ـ لا... أستطيع التأخر إن احتجتني.

ـ ليس هذا ضرورياً. يبدو أن أمامنا وقتاً طويلاً للراحة، وكنت أفكر في أن أفي بوعدي لمساعدتك في دراستك، وأن أصطحبك إلى العشاء. سأكون سعيداً إن شرفتني الليلة.

فكرت باميلا في أن الوقت مناسب، فسوزي كما قال في باريس، وهو يكره تناول العشاء وحيداً، لذا يرغب في إيفائها حقها من التكريم قبل عودة سوزي. هزت رأسها موافقة.

فابتسم بول بسعادة:

ـ جيد.. سأجري الترتيبات اللازمة للعشاء.. سنخرج بعد قليل.

وعاد إلى مكتبه.

* * *

٤ ـ رجل لا يعرف الرحمة

عاد بول مبتسماً:

ـ حسناً. كل شيء على ما يرام نحن أحرار في الخروج متى شئنا.. لا تنسي أن تحملي معك كتابك.

سحبت باميلا الكتاب من حقيبتها ورفعته ليراه بول.

جلست معه بهدوء وهو يقود السيارة بعيداً عن ضوضاء المدينة على محاذاة نهر التايمز. فتساءلت إلى أين يصطحبها يا ترى؟ ربما إلى مطعم فخم يقع خارج المدينة. تقوقعت على نفسها وهي تفكر في أنها ستظهر ثانية أمام الجميلات في ثيابها المزرية المظهر. ولكنها تعرف أنه لن يغير عاداته من أجلها. تابع المسير حتى أصبحا في ضاحية بعيدة من لندن، وهناك انعطف بسيارته إلى أقدم مجمع سكني في تلك المنطقة، وهو مجمع لمشاهير سكان لندن فيه شقق للعديد منهم.

على الرغم من قدم المبنى، إلا أن ثراء مالكيه جعلهم يحافظون عليه وكأنه مبني حديثاً. كان ديكور الشقق المنفصلة يجدّد ليتلاءم مع حاجيات الساكنين، وكذلك الحال بالنسبة للمساحات الخارجية التي حافظت عليها وفرة المال.

تساءلت باميلا ماذا يفعلان هنا، فهي تشك في أن يكون في

هذا البناء مطعم.

أوقف بول سيارته في موقف مرقم، ودار حول السيارة ليفتح لها الباب:

ـ لقد جعلت طباختي تحضر لنا العشاء. فكرت في أننا هنا سنجد الراحة والهدوء اللذين يخولاننا الإقبال على الدرس بروية. فأنا لا أعرف مطعماً فيه الهدوء والإنارة الكافية لإتمام الدراسة.

عندما كان يقودها إلى المصعد لاذت بالصمت. وهناك في المصعد رأت عامل المصعد يضغط على الزر المشير إلى الطابق الأخير، فشرع المصعد في رحلته الطويلة البطيئة إلى أعلى طابق في المبنى.

دخلا إلى ردهة صغيرة أنيقة لها باب واحد. جدرانها مكسوة بالحرير المذهب وأرضيتها ممتدة على هيئة قطع الشطرنج. كان في الردهة أثاث فرنسي أثري رفيع المستوى، وهذا الأثاث مطلي بالعاجي الخفيف الذي يشوبه الورق الذهبي. وضع بول يده على على خصر باميلا ليقودها إلى باب عاجي مذهب.. وما هي إلا لحظة حتى كانا دخلا إلى غرفة الجلوس التي احتلتها مدفأة فخمة محفورة في الجدار. كانت الغرفة أيضاً غنية بالنباتات الخضراء على الرغم من حرارة الصيف.

ـ سأعلم مدبرة المنزل بوصولنا. استريحي، لن أتأخر.

توجهت باميلا إلى صف من الأبواب الزجاجية المحكمة أقفالها للمحافظة على البرودة التي يؤمنها المكيف، ولمنع حرارة شهر آب اللاهب من الوصول إلى الغرف. ولكن تلك الأبواب الزجاجية المغلقة كانت تطل على منظر أشجار وزهور منزلية تملأ الشرفة الخارجية، وكان وراء هذه الزهور منظر متكامل للندن التي يقسمها

نهر التايمز إلى نصفين. فذهلت باميلا وهي لا تصدق أن حديقة كهذه قد تكون موجودة في مثل هذا المكان. عاد بول ليراها تتأمل الحديقة بإعجاب ظاهر، فتقدم ليقف قربها:

ـ إنها جميلة.. أليس كذلك؟ أنا أتمتع بالجلوس خارجاً في الربيع وذلك عندما تكون الرطوبة منخفضة. إن برد الطقس قليلاً بعد العشاء فقد نتناول القهوة في الخارج، فللشرفة منظر جميل يطل على الحدائق العامة والمتاحف.. أتودين الاغتسال قبل العشاء؟ الحمام من هنا.

أغلقت باميلا باب الحمام، وتأملت وجهها في المرآة. كانت البقع غير المرئية ظاهرة علماً أن بشرتها لم تعد حساسة. فكرت في خلع سترتها الكحلية الرسمية ولكنها عادت فقررت العكس لأن هذه السترة تساعد على حجب حنايا جسدها.

بعدما اقتنعت بأنها ما تزال تظهر بمظهر السكرتيرة الرصين، عادت إلى غرفة الجلوس حيث رأت بول يقف وراء مقصف فاخر كان مستتراً خلف جدار خشبي. رفع بصره إليها عن الكوكتيل الذي كان يحضره وخاطبها:

ـ تريدين تناول كوكتيل بارد؟

فهزت رأسها:

ـ أجل.. شكراً لك. فأنا بحاجة إلى بعض الانتعاش لأقدر على استيعاب ما ستعلمني إياه عن الميزانية التي أجدها صعبة الفهم.

ـ لا تقلقي، أعدك بأن تستوعبيها كما يستوعبها محاسب خبير وذلك قبل انقضاء هذه الأمسية. أتودين بعض الثلج فهو سيفتح شهيتك وينشطك في الوقت نفسه؟

ـ عظيم.. شكراً لك.

قدّم لها بول كأس الشراب وجلس قبالتها:

ـ سيجهز العشاء قريباً. لماذا لا تحدثينني قليلاً عن نفسك؟ أنا لا أعرف إلا القليل عن ماضيك.

وانساقت تقول الحقيقة دون تفكير:

ـ كان لوالداي مزرعة ألبان في سهل ميدلاند.. أذكر أنني ما إن شببت حتى رحت أمسك له دفاتر حساباته محضرة العمل للمحاسبين. فكان أن اهتممت بعالم المال وأردت خوض مضماره لكن ذلك صعب على مجتمع صغير كالذي ترعرعت فيه. فكان أن قررت أن أجرب حظي في لندن.

فقطب بول جبينه:

ـ ظننت أن السيدة تاوتسند قالت لي إنك كنت تعتنين قريباً بمُقعَد؟

نظر إليها نظرة مباشرة، والحيرة تتصاعد في عمق عينيه الرماديتين. ثم وكأنما توصل إلى قرار، هز كتفيه واحتسى شرابه قائلاً:

ـ لا يهم الأمر على أية حال. ما يهمني أنك ملائمة للمركز وأنا محظوظ لأنني وجدتك.

وابتسم في وجه باميلا وقد حلّ في عينيه محل الحيرة لمعان ودي.

دخل أرنست، ساقي بول وخادمه، ليعلن أن العشاء صار جاهزاً.

أشار بول للساقي بالخروج شاكراً، وقاد باميلا إلى غرفة الطعام. أمسك لها الكرسي قبل أن يقعد في مكانه على طاولة

مستديرة صغيرة قرب باب الشرفة. دهشت باميلا عندما لاحظت أن الغرفة الكبيرة مفروشة بعدد من الطاولات المستديرة الصغيرة، فقد توقعت رؤية خوان مديد لا يستطيع المرء رؤية طرفه الأول من الطرف الآخر.

يبدو أن بول أدرك حيرتها فسأل:

ـ أعجبتك! عندما أعددت ديكور الشقة، قررت ألا أتخذ لبيتي إحدى تلك الطاولات الرسمية الضخمة التي قد تكون مدعاة انزعاج في مناسبة كهذه، حينما لا يكون عليها للعشاء سوى شخصين. لذا سررت عندما اقترح عليّ مهندس الديكور هذا الترتيب.

ـ إنه جميل رائع!

وتابعت تأمل الغرفة الجميلة حتى استقرت أخيراً عيناها على وجهه الذي يتلاعب عليه نور شمعتين موضوعتين في شمعدانين فضيين لامعين.. فأحست بالارتعاش من حملقتها إلى قسماته الشبيهة بقسمات نسر. فنظر إليها باستغراب:

ـ أتشعرين بالبرد؟ الحرارة شديدة خارجاً.. ولكن المكيف جعل هذا المكان بارداً ربما؟..

فهزت باميلا رأسها، غير راغبة في أن يعرف تأثيره فيها.

ـ لا.. لا بأس بجو الغرفة. إنني بخير.

اقترح بول بعد العشاء اللذيذ، أن يحتسيا القهوة في غرفة الجلوس لتبقى القهوة متوفرة لهما أثناء الدرس.

ـ والآن.. فلنلق نظرة على ما يستعصي عليك.

أبعدت صينية القهوة جانباً، وفتحت الكتاب على الطاولة، فجلس بول قربها. وبدأ يشرح لها المعلومات الدراسية، ولكنها كانت تشعر بالتوتر بسبب قربه الشديد منها، فأجبرت نفسها على

التركيز والإصغاء لما يقوله، وانحنت فوق الكتاب تركز لتفهم شرحه. عندما شاهدها تنحني اقترب منها أكثر تشير أصابعه إلى المعلومات المحددة في الكتاب، ثم فجأة خيّم الظلام على الغرفة فشهقت.

أمسك بول بكتفيها:

ـ لا تفزعي. لا بد أننا تجاوزنا مقدرة العداد. سأتفقده، ابقي حيث أنت. سأعود حالاً.

استندت باميلا إلى الوراء مطلقة زفرة ارتياح. إنها مشوشة الفكر بسبب وجود بول قربها... كانت تتجنب طوال حياتها العملية التورط العاطفي مع أي رجل. ها هي أخيراً قد التقت رجلاً ليس مهتماً سوى بذكائها، رجلاً لا يجدها جذابة، ولكن رغباتها كانت تهدد بالانفلات منها. ما بالها؟... لقد وجدها بول تحب الحياة البيتية فدعاها إلى هنا... ثم إنه مرتبط بسوزي هاليداي. لماذا يجب أن يكون الرجل الأول الذي يروق لها عاطفياً وجسدياً، بعيداً عن منالها هكذا؟ تذكرت قولاً مأثوراً كانت ترددده أمها، قولاً يتحدث عن أن الناس يرغبون في ما هو بعيد عن منالهم.

أعادها وقع أقدام إلى حاضرها.

ـ حسناً... ليس العداد بل الرطوبة الزائدة التي يبدو أنها أثرت في محطات الطاقة. فالنظام الكهربائي العتيق في هذه المدينة غير معد لاستيعاب هذه التجهيزات العصرية كلها. لذا كلما ارتفعت الحرارة وازداد استهلاك الطاقة الكهربائية سادت الظلمة شوارع المدينة.

اشتدت الحرارة في الغرفة، فخلعت باميلا سترتها، وفتحت ياقتها قليلاً طلباً لبعض البرودة. انحنت إلى الأمام في الظلام

والتقطت كتابها ثم أغلقته ووضعته في حقيبتها.

ـ لن نكمل الدرس اليوم بالتأكيد. وبما أنني لن أفهم شيئاً من هذه الميزانية فمن المستحسن أن أغادر.

فقال بول بصوت خفيض:

ـ أخشى أنك عالقة هنا في الوقت الحاضر. فالمصعد معطل وأمامك عشرون طابقاً حتى تصلي إلى الطابق السفلي. إن خير ما نستطيع القيام به هو طلب الراحة والانتظار.

خلع سترته بدوره، وأرخى ربطة عنقه، ثم مدَّ يده إلى يد باميلا:

ـ تعالي.. سنختنق هنا دون مكيف.. وعدتك بجولة على حديقتي في الشرفة، ويبدو أن الوقت مناسب حالياً. فإن حالفنا الحظ هبَّت نسمة ريح باردة.

قاد باميلا إلى الأبواب الزجاجية. كان الهواء على الشرفة حاراً رطباً حتى يكاد البخار يتصاعد من الحجارة، وكان الضباب يرتفع من النهر البعيد. ولكن النباتات الخضراء أزهرت في مثل هذه الرطوبة لأن معظمها استوائي الأصل.

حرّرت باميلا نفسها من قبضة بول، وتوجهت إلى الشرفة لتنظر إلى الأسفل: إلى الشارع المهجور.. كان يلف الكون الظلام الذي لا تقطعه إلا أنوار بعض السيارات التي كانت تسير ببطء. والسير في مثل هذه الظروف خطر، لأن إشارات السير تحتاج إلى الكهرباء لتضاء وهي معطلة حالياً... أحست باميلا بالاضطراب عندما وقف بول قربها. فأبقت عينيها مسمرتين على الشارع، وقالت:

ـ ألا يبدو كل شيء مخيفاً؟ أحس بالرهبة من هذا المنظر... وأشعر بأنني وحيدة.

عقدت ذراعيها على صدرها وكأنها تحمي نفسها من خطر مجهول يختبىء في الظلام. فالتفت ذراع بول على كتفيها بطريقة أبوية.

ـ لا تخافي فلست وحيدة، أنا هنا معك. أما تخطيت مرحلة الخوف من الظلام منذ فترة طويلة؟

وضغط على كتفيها بلطف:

ـ هيا نستريح فنحاول التعارف أكثر إلى بعضنا بعضاً.

لحقت باميلا به فجلست على مقعد مريح قرب مقعد جلس عليه. ولكن آخر ما ترغب فيه، أن يتعرف إليها فتمنت ألا يطرح المزيد من الأسئلة المحددة عن حياتها الخاصة حتى الصباح التالي... فقد بات تنكرها مقيتاً وتاقت إلى أن تبوح بالحقيقة. ولكنها لن تخاطر فتواجه ردة فعله في الوقت الحالي خاصة وأن علاقتهما في هذه اللحظة تبدو جيدة. إنه يكره الكذب، لذا لن يفهم ماذا فعلت، ولماذا... ولكنها تجد العيش مع هذه الكذبة رهيباً. والسؤال هل تستطيع أن تتحمل كراهيته؟

أدار رأسه نحوها وابتسم:

ـ أدفع لك ما تريدين مقابل البوح بأفكارك.

فضحكت:

ـ إنها لا تساوي شيئاً. كنت أفكر في السكينة والهدوء المحدقين بنا دون كهرباء... ولكني مسرورة لأنك معي، فلا أخالني أحب البقاء وحيدة في الظلام.

فضحك:

ـ أعتقد أنك تقولين هذا من باب الإطراء. ليتك تستمرين في التمتع بصحبتي، بعد عودة الأنوار. فأنا أكره البقاء في الظلام

للمحافظة على علاقتنا الهانئة.

ووقف.. فشاهدته باميلا تحت ضوء القمر يخلع قميصه:

ـ اعذريني إن خلعت قميصي.. أعلم أن هذا قلة تهذيب مني.. ولكنني أكاد أختنق من الحرارة.

وراقبته مذهولة..

ـ سأحاول أن أستريح قليلاً... من يعلم إلى متى سيستمر هذا الظلام.

خلعت نظارتها.

كان جسدها متوتراً كرفاص مشدود، فضغطت على نفسها على ظهر المقعد، ترجو من أعصابها الاسترخاء... كانت تعرف أنه يراقبها في الظلام، وأحست بتصاعد حدة نظراته التي أحرقتها حتى عبر جفنيها المغمضين، ولكنها لم تجرؤ على فتحهما خوفاً من بروز عواطفها.

سمعت تنهيدة وحركة خفيفة، فعلمت أنه أشاح بوجهه عنها. وما هي إلا هنيهات حتى سمعت أنفاسه رتيبة فعلمت أنه غطّ في النوم. جعلتها أنفاسه المنتظمة تسترخي وسرعان ما وجدت نفسها تغمض عينيها.

فجأة أصبحت أحلامها المتوترة حقيقة. فاستيقظت وإذا بها تجد نور الشمس مشعّاً عليها وبول يقف محدّقاً إليها، ونظرة غاضبة على وجهه. انحنى فوقها والتقط شيئاً من جانب كرسيها. فنظرت باميلا إليه، وصعقت لما رأت.. فقد كان يمسك بالانتفاخ الصناعي لأنفها بيده. ومدّ يده ليمسح خدها بخشونة.

ـ أتسمحين بتفسير معنى هذا؟ وبشرتك اليوم تبدو لي في غاية النقاوة.

كان الغضب يغلي على وجهه وفي صوته... جلس على حافة المقعد ثم وضع يده على مؤخرة عنقها وجذبها إليه.

ثم راحت أصابعه تسحب الدبابيس من شعرها بوحشية فانسدل على كتفيها بحرية كهالة برّية متوحشة. كان وجهه قريباً منها حتى كادت تسمع أنفاسه.

ـ عجباً.. عجباً آنسة سامرز.. أنت بالفعل جذابة. لولا هذه الملابس القديمة الطراز، لقلت إنك أجمل شابة رأيتها في حياتي.

امتدت أصابعه إلى أزرار بلوزتها:

ـ ربما تكون هذه الملابس جزءاً من التمثيلية أيضاً... أتساءل ما قد يكون مستتراً تحتها من سحر؟

راح يفك ببطء الأزرار، فشهقت باميلا:

ـ لا.. يجب ألا تفعل هذا.

ثم جمعت طرفي البلوزة في يدها، وهبّت واقفة عن الكرسي، مبتعدة عنه وكأنها قطة خائفة.

أخذت عيناه تمعنان النظر في جسدها بقسوة فاسقة، ثم شخر بازدراء:

ـ حريٌّ بك أن تفسري لي على أن يكون التفسير مقنعاً!

دنا منها، فارتدت عنه إلى غرفة الجلوس وعيناها تطلقان الشرر:

ـ لست مضطرة لشرح أي شيء لك، فلن تصدقني. أنا خارجة الآن. لك أن ترسل أجري إلى منزلي. وأنا أرجو أن تكون أوفر حظاً مع سكرتيرتك التالية، فلربما وجدت أخيراً نموذجاً كاملاً يشبه السيدة تاوتسند كل الشبه.

انحنت لتلتقط سترتها وحقيبتها، ولكن قبل أن تمسك بها

كانت يد بول قد أطبقت على معصمها وأدارتها بعنف إليه:

ـ لن تذهبي إلى أي مكان... ليس قبل أن آمرك. أنت من بدأ هذه اللعبة ولكنني أنا من سأنهيها... على طريقتي!

جذبها إليه ليحيطها بين ذراعيه بقسوة لم تكن تتصورها باميلا. قاومته في البداية وحاولت تحرير نفسها، ولكن يديه أجبرتاها على الالتصاق به. كانتا أشبه برباط فولاذي مرن. استقرت يداه بثبات خلف ظهرها، لم تستطع التنفس أو الهرب، فقد تحوّل كل التوق الذي أحست به نحوه سابقاً إلى لحظة انفعال مشبوب، وإلى تجاوب مخذول إجباري، مما جعلها تشارك في عواطف كانت أبعد بكثير مما عرفته في حياتها.

كان بول مسيطراً على الموقف بحيث لم تستطع إلا أن تتجاوب... بدأت ردة فعلها المتحمسة تتضاعف وتتضاعف توتره فرفع رأسه ليقول:

ـ قابلت نساء ماكرات كثيرات في حياتي، ولكنني لم أقابل من هي أكثر منك خداعاً. أنت بلا أخلاق البتة. ماذا أملت أن تكسبي من وراء هذه الخديعة الرهيبة؟ هل اعتقدت أنني سأصبح معتمداً عليك كل الاعتماد؟ أليس هذا ما كنت تخططين له من وراء لعبتك هذه؟ أردتِ أن أعجز عن الاستغناء عنك حتى إذا ما حان الوقت الملائم، كشفتِ حقيقتك. كنتِ تعلمين أنني سأجد جسدك جذاباً، وظننتِ أن سحرك سيجعلني أحتاجك بعد ساعات العمل.

صمت قليلاً دون أن يرخي ذراعيه عنها. أردف:

ـ عظيم.. هذه اللحظة المناسبة للبداية. فلنرَ إذا كانت مواهبك العاطفية كمواهبك في حقل السكرتاريا.

قلبت كلماته الجافة إحساسها الرومانسي إلى كابوس مرعب.

فقد أدركت فجأة مرعوبة، أنها أحبته، وأنها بكل غباء أقنعت نفسها بأن عناقه كان رداً على حبها له. ولكنه في الواقع كان كراهية.. كراهية شريرة... حوّل ما أحست به تجاهه إلى شيء بغيض فظيع.. وعليها أن تبتعد عنه قبل أن تنهار تماماً... إمّا من عنف عدائه، وإمّا من عار تجاوبها مع لمسته، فقالت مقطوعة الأنفاس:

ـ لا يمكنك حجزي هنا! لا يحق لك.

فضحك ضحكة خالية من المرح:

ـ أنت لست في موقف يسمح لك بالكلام عن الحقوق.

ارتدّ عنها ممسكاً يديها ليبقيهما بين يديه:

ـ يدان فتيتان ناعمتان... عينان كالياقوت... شعر كالحرير الذهبي.. لا تحدثيني عن الحقوق. أنا من يقرر ما هي حقوقي. وثقي أنها لا تشمل شيئاً فعلته قط مع السيدة تاوتسند! كم ضحكت عليّ! أدجلي يعرف هذا، طبعاً؟ المتنكرة حقاً! حسناً أنا من سيكتشف ماذا وراء هذا التنكر. وسيبقى أدجلي على تساؤله.

ارتفعت يده إلى ياقة بلوزتها... كان تهديده البشع قد أرسل في أوصالها نوبة من الخوف جنونية، فرفعت قدمها تركل بها ساقه اليمنى ركلة قوية فصاح:

ـ أيتها الساحرة القذرة. ستدفعين الثمن.

ولكنها لم تكن تريد البقاء حتى تدفع الثمن. فما إن تركها ليفرك ساقه المصابة حتى كانت قد أمسكت بحقيبتها وطارت إلى الدرج، ودموع العار الساخنة تتدفق على وجنتيها، فأغشى بصرها حتى كادت لا ترى درجات الطوابق العشرين وهي تهبطها.

لم تدر كيف تمكنت من الوصول إلى شقتها التي أسرعت فيها تلقي نفسها على الأريكة، باكية بيأس واضعة وجهها بين راحتيها.

خرجت بيرل مسرعة من غرفة النوم والنعاس يغالبها، والقلق بادٍ في عينيها:

ـ ماذا حدث؟ أعرف أنك علقت في الظلام، ولكنني ظننتك بخير. حاولت الاتصال بمكتبك ولكن الخطوط كانت مشغولة.

حاولت باميلا التقاط أنفاسها، واستجماع قواها.. فلوّحت بذراعها أمامها وتكلمت بصوت متحطم:

ـ لا شيء... أنا بخير... أمضيت الليل في شقة بول...

رفعت بيرل حاجبيها وسوّت جلستها، ثم أشعلت سيكارة:

ـ أمضيت الليل مع بول غراينجر؟ وماذا حلّ بأخلاقك الفاضلة؟

فهزت باميلا رأسها:

ـ لا.. ليس الأمر كما تصورينه. دعاني بول للعشاء في شقته... كان يريد شرح بعض دروسي، فبما أن صديقته مسافرة ظن أن المناسبة مواتية لضيافتي. أما بالنسبة لإغوائي فكان الأمر بعيداً عن تفكيره، وما شعر به من رغبة تجاهي كانت نابعة من فكرة الانتقام مني.

أجهشت بالبكاء والنحيب من جديد.

ـ بام.. عمَّ تتحدثين؟ ظننته مسروراً بعملك! قلت إن كل شيء يسير على ما يرام.

ـ كان كذلك حتى هذا الصباح الذي اكتشف فيه ما فعلت.. و... أوه.. بيرل... لو استطعت رؤية الاحتقار في عينيه.

ـ ألم تشرحي له الأمور؟ ألم يتفهّم الأسباب التي دفعتك إلى هذا التنكر؟ قلت بنفسك إنه ما كان ليقبل بتوظيفك لولا التنكر.

ـ لم يمهلني فرصة للشرح... كان قاسياً وفظاً بيرل... قلت

إنني مستقيلة، وإن بإمكانه إرسال راتبي إلى منزلي. لا أظنني سأطيق النظر إليه ثانية.

دنت بيرل منها وألقت ذراعها حول كتفيها:

ـ حسناً... إن ذلك بالنسبة لشخص يحب أن يعيش بهدوء طريقة غريبة في إثارة المشاكل، ولكن لا تقلقي. تذكري أن تالبوت وعد أن يستخدم نفوذه ليجد لك عملاً. سيكون كل شيء على ما يرام. لماذا لا تغتسلين وتنامين بعض الوقت؟ فليس لديك اليوم عمل ولديّ أنا نص مسرحية علىّ التمرن عليها في البيت، وعلى ذلك سأنتزع قابس الهاتف لئلا يزعجنا أحدهم.

عندما استيقظت باميلا كان الوقت ما بعد الظهر، حدّقت عن غير وعي في السقف، ثم استعادت الأفكار التي أقلقتها قبل نومها. لقد تمكنت من الخلاص من غضب بول، لكن كيف لها أن تجد الراحة مع هذه المشاعر الممزوجة بالعار بسبب ما فعلت؟ تنهدت عميقاً، ثم انزلقت عن الفراش لتغادر السرير متوجهة إلى الحمام لتغسل وجهها، فلاحظت أن بشرتها عادت إلى صفائها ونقائها. سمعت بيرل حركتها فدخلت الغرفة ووجدتها تفتش في خزانتها عما ترتدي.

ـ ارتدي شيئاً مثيراً.. فارتداء الثياب المثيرة يشعرني بأنني أفضل حالاً. وهو بالتأكيد سيساعدك على التخلص من الإحباط الذي ولّده ارتداء تلك الأزياء الرهيبة.

أمسكت باميلا البيجاما الشفافة المكشوفة التي أعطتها لها وارتدتها بطاعة قائلة:

ـ ربما أنت على حق. ربما إذا بدوت أفضل حالاً من الخارج، أبدأ بالشعور بالراحة من الداخل.

عقدت زنار البيجاما، ثم مررت يدها على فتحة الياقة الواسعة، ولم تلبث أن انتعلت خفاً رقيقاً وشرعت تمشط شعرها ليغدو هالة حول وجهها. بعد ذلك مرّرت فرشاة على وجنتيها لتلونهما بالأحمر الوردي وأضافت لمسة من أحمر الشفاه إلى شفتيها وظلالاً زرقاء باهتة إلى ما حول عينيها.

دارت حول نفسها أمام بيرل:

ـ كيف أبدو؟

ـ أفضل بكثير مما كنت من قبل زمن طويل. على كل حال أنا مسرورة لأن بول اكتشف أمرك، فما أسخف مواظبتك على ذاك التنكر الرهيب. لا أدري كيف اقترحت عليك تلك الفكرة الشنيعة.

ثم توجهتا إلى المطبخ حيث أخرجتا منه عصيراً بارداً:

ـ فلنحتفل بعودة صديقتي ورفيقتي في السكن. فلم أكن أتمتع بالسكن مع تلك العانس العجوز، ولا أستطيع التفكير في أنك تحت رحمة بول غراينجر الشرير العديم الإحساس.

ـ إنه ليس شريراً دائماً، كما أنه ليس عديم الإحساس.. يجب أن تري كيف تديره سوزي هالياداي حول أصبعها الصغيرة. إنه معها يصبح كالطفل الوديع. يبدو أنه لا يعترض على وجود الجمال في حياته الخاصة.. ولكنه يرفضه في مكتبه إذ يتوقع من موظفيه العمل كالآلات.. ربما أنت على حق! وربما كان من حسن حظي أن تركت العمل عنده مع العلم أن الفرصة كانت ذهبية.

رنّ جرس الباب، فأشارت باميلا إلى بيرل أن تبقى جالسة:

ـ نمت طوال النهار، لذا تمتعي بشرابك البارد.

توجهت إلى الباب تحمل كوبها بيدها. عندما فتحته قفز قلبها بجنون وانحبست أنفاسها في حنجرتها، فقد كانت تحدق إلى بول

غراينجر.

ـ ماذا تريد؟

لم يرد بول عليها، بل دفعها إلى الشقة ودخل ينظر ببرود إلى بيرل التي ما تزال جالسة على الأريكة. ثم التفت إلى باميلا المستندة بوهن إلى الباب وقال ساخراً:

ـ جئت إلى هنا لأرى إن كان بالإمكان تسوية الأمور.. قلت لموظفي المكتب إنك متعبة... ولم أتوقع أن أجدك تحتفلين بنجاح خدعتك.

قفزت بيرل عن الأريكة غاضبة:

ـ رويدك... يا صاحب العظمة والجلال.

فنظر إليها بول ببرود:

ـ إنها مسألة خاصة. أكون مقدّراً لك رحيلك لتوفير بعض الخلوة.

نظرت بيرل إلى باميلا التي هزت رأسها موافقة، فكان أن انسحبت إلى غرفة النوم ولكنها قبل أن تفتح الباب ألقت نظرة عليهما من فوق كتفها.

ـ اصرخي لو احتجتِ إليّ.

ثم أقفلت الباب تاركة وراءها جواً مشحوناً بالعداء.

دنا بول من باميلا وأمسك كتفيها بعنف، فيما راحت عيناه تجولان على وجهها وجسدها، وكأنما يراها للمرة الأولى أو كأنما يريد أن يُرْسخ ملامحها وتكوينها في ذاكرته ترسيخاً.

قال لها بصوت قاسٍ ملؤه السخط والغضب.

ـ تبين لي أنك ساحرة قذرة... بما أنك ضحكتِ عليّ بما فيه الكفاية أشعر برغبة في انتزاع هذه البسمة عن وجهك.

دفعها عنه، ثم وضع يديه في جيبي سرواله وكأنه لا يثق بنفسه إن عاود لمسها. هز رأسه مضيفاً:

ـ لا عجب إن نسيت ما كتبته عن ماضيك في الملف. لقد أظهرتني بمظهر المغفل.. قابلتُ نساء باردات من قبل، إنما لم تصل أي منهن إلى براعتك في فن الخداع... انظري إلى نفسك... لا تبدين نادمة أقل الندم...

وضعت باميلا كوب العصير من يدها، وقالت بهمس مرتجف:

ـ لم أكن أحتفل بنجاح خدعتي التي كانت في الواقع فشلاً ذريعاً.. ولم آسف قط على شيء كما أسفت عليها.

التفت بول ليحملق إليها:

ـ سأراهن على هذا! لماذا أقدمت على تنكرك ذاك؟

غطت باميلا وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء:

ـ أردت أن أعمل... كنت يائسة، أردت وظيفة وكنت مستعدة للقيام بأي شيء حتى أجدها، لكنني أخطأت في حساباتي وها أنا آسفة.

تعالى نحيبها. فاقترب منها قائلاً بصوت ناعم:

ـ حسناً.. كنت تحتاجين إلى عمل.. إنما لماذا التنكر؟

أحست باميلا برغبة في الارتماء بين أحضانه لتوسُّل الغفران.. ولكنها أجبرت نفسها على التكلم:

ـ انظر إليّ... أكنت ستتخذني سكرتيرة؟ لا! اعترف بهذا... ما كنت لأتخطى مكتب السيدة تاوتسند. أتريد حقاً أن تعرف لماذا تنكرت؟

سحبت نفساً عميقاً، ثم رفعت رأسها، وسوّت كتفيها، ثم سارت نحوه:

ـ أتظن حقاً أنني أردت أن ألعب لعبة فقط على بول غراينجر الشهير؟ لا تغترّ كثيراً بنفسك! فما أردت إلا وظيفة أتعلم منها ما يفيدني في عالم الاستثمارات المالية. ولكنني مررت بسلسلة من أرباب العمل الذين عاملوني وكأنني فتاة فارغة الرأس وقد رغبوا جميعاً في أن يتخذوني عشيقة.. أفهمت الآن؟

ـ ربما لم أنصفك.. لكن... عليك الاعتراف بأنك أسأت الحكم عليّ. لماذا لم تخبريني الحقيقة فوراً؟.. فلست مهتماً أبداً بجسدك كما لا يعقل أن تفكري في أنني قد أتحرّش بإنسانة لا تريدني أو ترحّب بوجودي في حياتها... خاصة سكرتيرتي... اسمحي لي أن أقول لك إنك أنت أيضاً مغترة بنفسك. فلست فاتنة فتنة أجد معها أنني غير قادر على مقاومتك. مع أنني فقدت السيطرة على أعصابي هذا الصباح.. وأنا هنا لأعتذر عما بدر مني. وأعدك ألا يتكرّر ما حدث ثانية.

هز كتفيه بوحشية والتفت إليها:

ـ على أية حال، بما أننا سوينا الأمور الآن لا أرى سبباً يحول دون عودتك للعمل، فلا أريد أن أفقد سكرتيرة ماهرة. أعتقد أنك ستسرين من وجود رب عمل أخلاقه تجاهك على الأقل فوق الشبهات. بناء على ما ذكرت أتوقع منك الحضور إلى المكتب غداً في الموعد المعتاد.

شهقت باميلا وسارعت إلى الكرسي تقعد عليه قبل أن تنهار.. وقالت:

ـ لن أستطيع... كيف لنا أن نعمل معاً بعد ما حدث؟ إنه مستحيل.

انحنى بول ليجذبها عن المقعد. كانت لمحة الحنان قد غادرت

وجهه، وحلت محلها نظرة باردة اخترقت قلبها وجمّدته...

ضمّها بين ذراعيه، فأذهلها تصرفه المفاجىء.. وعندما رفعت وجهها رأت ابتسامة ماكرة تعلو طرفي فمه ثم أحست بيده لطيفة على ظهرها تبعث الحياة إلى عروقها.

وتلاشت كل قواها ومقدرتها على التعقل.. فلم تكن تشعر إلا به وبذراعيه الدافئتين...

ارتفعت ذراعاها عن غير وعي، والتفّتا حول عنقه، تجذبانه إليها، وتخبرانه باللمس كم تحبه.

ثم فجأة، أبعدها عنه، فأحست بالبرد، والهجر، فحاولت الاقتراب منه. ولكنه قابل نظرتها الحالمة المتوسلة بنظرة باردة متحفظة لم يظهر عليها أقل تأثر بما حدث للتو بينهما. كان يسيطر كل السيطرة على عواطفه وأعصابه وهو يمعن درس الارتباك على وجهها. طعنت ابتسامته الساخرة المنتظرة قلبها فأشعلت نيراناً لم يشعل مثيلها عناقه السابق.

لم تستطع تصديق الهدوء البارد في صوته وهو يقول:

ـ كما ترين، لا داعي إلى القلق أو الخوف مني فلست ممن يفرض نفسه على امرأة لا تريد إلا فرصة للعمل كما تدعين بحرارة. فما زال أمامك الكثير لتتعلميه مني في عالم المال. لذا، إن كنت جادة حقاً، أبدأ بتعليمك حالاً: الدرس الأول يقول لا تظهري الجزع مهما كان الموقف متأزماً. كان تصرفك في شقتي هذا الصباح مثالياً بالنسبة لأنثى طائشة، لا لمرأة تريد أن تتبوأ مركزاً في عالم المال. لذا يجب أن تجبري نفسك على أن تكوني أقلّ انفعالاً لتحققي النجاح في عالمنا. والدرس الثاني الذي يجب أن تتعلميه هو ألا تقولي «لا» جواباً. أعدك بأن تكون جاذبيتك آمنة معي، وإذا

لم تثقي بكلمتي فسأفترض أن كل ما قلتِه لي غير صحيح، وعليه سأسعى لئلا تتبوئي أي مركز مهم في عالم المال. إذن، إن كنت غير مستعدة للعودة إلى مزرعة أبيك، أقترح عليك إعادة التفكير في قرارك.

رفع رأسه، وشدَّ أصابعه على ذراعيها، فأخفضت رأسها، وهي عاجزة عن النظر إليه:

ـ حسناً. لقد أوضحت وجهة نظرك كل الوضوح. لا أعتقد أن العودة إلى مزرعة والدي فكرة جيدة... أعلم أنك لن تثق بي مرة ثانية، ولكنني أعتقد أننا يمكن أن نجرب.

فتركها بول:

ـ إنه قرار حكيم آنسة سامرز.

واتجه إلى الباب، تاركاً لعينيه الحرية في التجول فوق حنايا جسدها التي لا تكاد تخفيها البيجاما. وأكمل:

ـ أظن أنك لن ترتدي ما يشبه تلك الملابس الرهيبة ولكنني أقترح عليك ارتداء ما هو أقل إثارة مما ترتدينه في الوقت الحاضر. علماً أنني لن أنظر إلى مفاتنك التي ليس لي فيها رغبة، إلا أن سائر رجال المكتب قد لا تكون لهم المناعة الكافية.

ابتسم لها بخبث... وخرج ثم أقفل الباب وراءه...

* * *

٥ ـ ضيف بالقوة

في الصباح التالي اختارت باميلا ثيابها بعناية فائقة. كانت كلمات بول غراينجر ما تزال تطنُّ في أذنيها، ففيما هي تنتقي الثياب فكرت في أن بول سيعتبر ارتداءها زيّاً عملياً غير ملائم تنكراً فكان أن اختارت أخيراً بلوزة بيضاء عالية الياقة مزررة من الأمام، وتنورة متعددة الألوان طويلة، وحذاءً منخفض الكعبين، يقلّل من طولها.

وقفت تتأمل نفسها في مرآة الخزانة. كانت ثيابها بسيطة كتلك التي ارتدتها سابقاً إنما هذه تختلف عن تلك بلونها وحجمها اللذين أبرزا جاذبية جسدها.

مشطت شعرها الحريري الأشقر ثم عقدته كما كانت تفعل دائماً حين تذهب إلى المكتب.

وضعت نظارتها البلاستيكية الإطار على أنفها آملة أن تعطيها بعض الوقاية من العيون المتسائلة التي ستطولها دون ريب.

كانت تعلم أن التحدي الحقيقي سيأتيها من السيدة تاوتسند، فتساءلت عما إذا كانت المرأة ستحاول الضغط عليها لتترك وظيفتها، وإن حدث ذلك تصبح عالقة بين عداء السيدة تاوتسند وإنذار السيد غراينجر. تعلم أن بول يتوق للخلاص منها، ولكن

غروره الرجولي يدفعه إلى استبقائها حتى يُنزل بها انتقامه النهائي.

من الواضح أن بول كان في المكتب يوم أمس وما دلَّ على ذلك وجود شريط مسجل قرب آلة الطباعة وهذا يشير إلى أن لديها عملاً تقوم به. وضعت السماعات حول أذنيها، فتناهى إليها صوت بول واضحاً. بدأت تطبع الرسائل التي كانت تتلقاها من جهاز التسجيل.

في العاشرة انفتح الباب، عرفت من القادم دون رفع نظرها. وما هي إلا ثوان حتى كان أمام الطاولة يطفىء آلة التسجيل، فأبعدت السماعات ونظرت إليه.

تفرَّس في وجهها لحظات ثم قال:

ـ هلاَّ أتيتِ إلى مكتبي آنسة سامرز، على أن تقفلي الباب وراءك.

لحقت به إلى مكتبه، وأقفلت الباب تنتظر أن يقعد سعياً إلى تلقي رسائله. لكنه تقدم منها وعيناه تجولان في جسدها بشكل واضح. فأحست بالحرارة تشتعل فيها، فغضت طرفها لأنها لم تكن مهيئة نفسياً لنظرته هذه. حارت كيف تتصرف إزاء نظرته. أخيراً أحست ببعض الشجاعة فقالت ببرود:

ـ هل أنهيت تفرّسك فيّ؟ وهل نلتُ إعجابك يا سيدي؟ إن لم أحظَ بإعجابك أكن سعيدة في مغادرة هذا المكتب!

رفع بول رأسه والتوت شفتاه بابتسامة متعجرفة:

ـ ولماذا أرغب أن تغادري؟ أشعر وكأنني لا أعرفك، مع أن فيك شيئاً مألوفاً لكنه غامض. لِمَ أشعر أننا التقينا من قبل. إنما أين؟ لا أذكر.

ارتدَّ قليلاً وكأنه يريد إمعان النظر أكثر:

ـ أنت امرأة غامضة. ظهرت في البداية غير جذابة، عانساً عجوزاً ذابلة.. ثم بالأمس، في شقتك، بدوتِ أنثى خلاَّبة. أما الآن فيبدو وكأن كل ذرة فيك لسيدة أعمال أنيقة قديرة. أراني حائراً في معرفة من أنت حقيقة؟

ـ ولماذا الحيرة؟ ألم تطلب مني ارتداء ثياب تليق بالمكتب، فكان أن حاولت تطبيق تعليماتك. أرجو صادقة أن تكون راضياً عن مظهري.

لمعت عينا بول، ثم عاد للتحديق في جسدها، يمعن ويقوّم كل خط فيه بشكل دقيق. ثم قال:

ـ لكنك آنسة سامرز مخطئة كل الخطأ. فليلة أمس أعجبني مظهرك، إلا أنني أشرت فقط إلى أن ثيابك لن تليق بالمكتب. وعليك الاعتراف أن ما كنت ترتدينه لا يليق بسيدة أعمال، بل يليق «بحريم السلطان»، وزيك اليوم يخفي ما كان ظاهراً بالأمس، غير أن عندي ذاكرة قوية، وبإمكاني تخيل ما تحت هذه البلوزة البيضاء.

وتقدم نحوها مردفاً:

ـ لديك خصائص مميزة آنسة سامرز، لذا ستكونين ذات فائدة لشركتنا لم أكن أتصورها.

رمت باميلا قلمها ودفترها على طاولته تتصاعد إلى عينيها النار التي كانت تحرق وجنتيها:

ـ رويدك قليلاً! أنت تعرف كل شيء عن تنكري، لذا لا تظننَّ أن بإمكانك دفعي للإحساس بالذنب. اعترفت أنها كانت غلطة، وعرضت عليك ترك العمل. فكنتَ من أصرَّ على العمل معاً، مدّعياً أن أخلاقك فوق الشبهات... حسناً.. لا تتصور أنك قادر على

اعتباري «جارية» عندك.. فلن تكون هذه الوظيفة الأولى التي أتركها بسبب رب عمل فاسق!

فظهر الغضب على وجهه وفمه:

ـ لا تغتري بنفسك آنسة سامرز! لا سبب يدفعك إلى أن تسيئي الظن في نواياي. كنت أحاول فقط تعويد نفسي على صورتك الجديدة. فالتغيير الذي طرأ على مظهرك كبير، لذا أعود فأقول إنني لن أسمح لك بالتصرف بطريقة غير لائقة مع أي موظف آخر في المكتب. فأنا لا أتسامح أبداً بما يتعلق بالتصرفات اللاأخلاقية. سأعذرك هذه المرة، لأنني أدرك شعورك بالذنب. إنما لن أتساهل في المستقبل. هل كلامي واضح؟

كانت باميلا من الداخل تغلي كالمرجل. ففتحت فمها لتطلق اللهيب، لكنها تذكرت قسمه بأنه لن يدعها تجد وظيفة أخرى في عالم السكرتاريا. وكانت نظرة واحدة إلى تعبير وجهه المصمم كافية لتقتنع بأنه لا يهدد جزافاً، فابتلعت كبرياءها وتذوقت مرارة الهزيمة.

ـ نعم سيد غراينجر. لقد أوضحتَ كلامك، فأعتذر عن تصرفي. وأعد ألا يتكرّر ما حدث.

لمعت شرارات الانتصار في عيني بول:

ـ هذا أفضل آنسة سامرز. والآن. فلنبدأ العمل الذي أعتقد أنه يدير استثمارات زبائننا... لديّ رسائل أمليها عليك، فهل تكرمت واستعدت قلمك ودفترك لنبدأ؟

أملى بول الرسائل بالسرعة التي كان يفكر فيها. وما هو إلا وقت غير طويل حتى نسيت غضبها، وانغمست في عملها.

قلبت الصفحة، وانتظرت.. فقال بول:

ـ أعتقد أن هذا يكفي حالياً آنسة سامرز. هلاَّ أحضرت لي فنجان قهوة ثم تنهين بعد ذلك هذه الرسائل؟ أريد أن تخرج من المكتب اليوم.

دخل عليها تود المكتب حالما غادرت مكتب بول:

ـ صباح الخير باميلا. أسفت عندما سمعت عن مرضك بالأمس.

التفتت إليه وكانت على وشك التفوه عندما لاحظت وجهه المشدوه، وفمه المفتوح، وعينيه المتسعتين دهشة:

ـ باميلا؟ أهذه أنتِ حقاً؟ ماذا حدث لك؟ لم أتعرف إليك.

دخل بول الغرفة بغضب فتناول فنجان القهوة من يدها المرتعشة.

ـ الأفضل أن آخذه منك قبل أن تحرقي نفسك به.

ثم التفت إلى تود:

ـ حسناً.. تود، اقفل فمك وأطلق قدميك. لقد لاحظت دون ريب التغيير الذي طرأ على مظهر الآنسة سامرز. لكن اعلم أنني لن أسمح أن تتعرض إلى استجواب بشأن حياتها الخاصة، لذا أتوقع ألا يجري نقاش في هذا الصدد. وبما أنني أعرف أنك على صلة وثيقة بمعظم الموظفين، فأرجو أن تعتبر نفسك مكلفاً بإيصال رغبتي إلى الجميع. لا أريد نقاشاً بشأن مظهر الآنسة سامرز وسأتولى بنفسي أمر من يعصي هذه التعليمات. أواضح كلامي؟

انتفض تود، مسوّياً كتفيه، ثم اتجه إلى الباب:

ـ حاضر سيد غراينجر. سأفعل هذا حالاً.

رمق بول باميلا بنظرة باردة، ثم دخل إلى مكتبه حاملاً قهوته.

مرّت ساعات الصباح بسرعة فقد كان بول خلالها يتحدث

هاتفياً وكان أن انشغلت باميلا بطبع الرسائل.

عندما طلب منها مرة أخرى إرسال من يحضر لهما سندويشات للغداء أحست باميلا بالسعادة لغياب السيدة تاوتسند في إجازة تدوم ثلاثة أسابيع. فهي والحال هذه لن تضطر لمواجهتها حالياً، كما أن تود قام بعمل رائع في نشر الخبر عن التغيير الطارىء. فلم تلاحظ أن موظفاً حاول التحديق إليها إلا بنظرات مختلسة.

أكملت الرسائل وأدخلتها ليوقعها بول. كان مشغولاً في بعض الأرقام على الورق، فلم يرفع رأسه إليها بل أشار بيده لتجلس:

ـ سأكون معك بعد لحظات. كنت أسعى وراء الأسهم البحرية منذ أشهر، ويبدو أن لدينا دلائل عن مشترٍ لها.

بعد قليل رمى القلم من يده.

ـ ها قد انتهيت آنسة سامرز. إذا انخفض سعر هذه الأسهم في الغد قد نشتريها لحساب عدة زبائن لدينا. كنت أتكلم هاتفياً طوال الصباح مسجلاً طلبات الشراء. أمامنا غداً يوم عمل شاق.

نظرت باميلا إلى ما كان يكتب، فلم تجد إلا حروفاً وأرقاماً أين منها ألفباء الإغريق... لاحظ بول تقطيبتها واهتمامها.

ـ ألم يعلموك هذه الأرقام والحروف في المعهد الذي تدرسين فيه؟ إنها من أهم الأمور في عالم الاستثمار الحديث. كيف يتوقعون منك تعلم أي شيء إن لم يعلموك القواعد الأساسية؟ ستتعلمين في هذا المكتب خلال أسابيع أكثر مما ستتعلمينه هناك في سنة! تقدمي مني لأشرح لك فلن تتمكني من القيام بأي عمل إن لم تفهميها!

وضعت باميلا الرسائل على حافة المكتب ودارت حوله إلى حيث يجلس. أرجع كرسيه إلى الخلف، ليفسح المكان لها، ثم

ردّه إلى الأمام ثانية، تعلقت باميلا بينه وبين الطاولة، بدا أنه يعي اضطرابها، ولكنه انحنى فوق الورق، يتابع بدقة خطاً مرسوماً بحرف محدد بإصبعه:

ـ هنا بدأنا الملاحقة منذ عدة أشهر. وهذا هو سعر اليوم السابق في البورصة... وبهذا السعر بيع اليوم. أفهمتِ الآن لماذا أهتم بمستوى سعره؟

حرّك كرسيه ليفتح درجاً أخرج منه ملفاً. عندما عاد إلى مكانه وضع ذراعه خلف باميلا بدلاً من وضعها بينهما. فاضطرت للالتصاق به أكثر لئلا تمسّها ذراعه. وتطايرت إلى خياشيمها رائحة عطره الأخاذ، فأحست بالارتباك إنما ما من وسيلة تستطيع بها تحرير نفسها منه دون إثارة ريبة بول، وهذا آخر ما تريده. عضت على شفتيها وأجبرت نفسها على التركيز على ما يقول.

كان صوته عميقاً وعملياً... كان يتكلم وكأنه لا يحس بتوترها الذي يسببه قربه منها. كان منكباً على شرحه، فاشتدت ذراعه فجأة حول خصرها ليجذبها أكثر إليه حتى تستطيع رؤية الأوراق المنثورة على طاولته بطريقة أفضل. ثم التفت فجأة لينظر إلى عينيها:

ـ هاك... أتوضح الأمر لك الآن؟ أفهمت ما كنت أقوله؟ غداً ستتاح لك فرصة تخوّلك رؤية كيفية هذا كله عملياً. يبدو أن يوم الغد طويل وممتع.

أحسّ فجأة بوضع باميلا وقلقها، فردَّ الكرسي إلى الوراء وتركها لتعود إلى مقعدها.. أسند ظهره إلى ظهر كرسيه مقلباً قلمه بين أصابعه مفكراً، ثم ضاقت عيناه:

ـ لم تسمعي كلمة مما قلت.. أليس كذلك؟ آنسة سامرز.. أنت تصدمينني حقاً! بدايةً طالبت أن أعاملك معاملة رجل...

وعندما فعلت تحولتِ إلى عذراء آتية من القرن السادس عشر. يجب عليك إن إردت المضي في عالم المال كبح جماح مخيلتك. أرجوك، تذكري أننا في مكتب لا في غرفة نوم. وضعي أفكارك في القنوات الملائمة. والآن ماذا كنت تريدين مني قبل أن ننشغل بهذا؟

أعطته باميلا الرسائل:

ـ رغبت في إرسال هذه اليوم، ولكنني تأخرت فالبريد رُحّل دون ريب. إنها السادسة ومن عادة البريد أن يرسل في الخامسة والنصف.. فالدرس الذي كنت تشرحه لي استغرق وقتاً طويلاً ولأنها غلطتي سأحملها بنفسي إلى مكتب البريد أثناء التوجه إلى منزلي.

لم يرد عليها بول، بل سارع إلى توقيع الرسائل، فتركت المكتب، مقفلة الباب وراءها، ثم أكملت ما تبقى من عمل لديها بانتظار انتهاء بول. خرجت لتضع شيئاً على مكتب السيدة تاوتسند وحينما عادت وجدته يجلس على طرف مكتبها يمسك غلافات بيده:

ـ الرسائل مضبوطة كل الضبط، وقد وضعتها في غلافاتها لكنني لم أجد الطوابع. فأنا لم أكن خبيراً قط في معرفة خبايا مكتب سكرتيرتي... أرجو أن تلصقي الطوابع على المغلفات لنخرج بعد ذلك.

وجدت الطوابع بسرعة ثم راحت تلصقها وقالت لبول:

ـ لا تنتظرني رجاءً، سأنهيها بعد قليل.

ـ لا بأس. أستطيع الانتظار، فليس لدي مواعيد الليلة. المكتب فارغ، ولا أجد من المناسب تركك وحيدة.

ـ لكنني فتاة ناضجة قادرة على العناية بنفسي.

عاد بول يحدق فيها بتصميم وقصد ثم قال:

ـ أرى ذلك بوضوح. أما بالنسبة إذا كنت قادرة على العناية بنفسك فهذا ما يجب أن نراه.

كست بسمة متكبرة وجهه، فاضطربت بحنق من سخريته الواضحة. لكنها حملت حقيبتها والمغلفات واتجهت نحو الباب.

ـ عمت مساءً سيد غراينجر. وشكراً لبقائك وحمايتك لي من كل الأخطار التي لا تصدق.

فتحت الباب، وخرجت بسرعة... لكن بول منعها من إغلاق باب المصعد لأنه سدّه عليها. ثم بعد ذلك أنزل يد باميلا عن زر الطابق السفلي بحزم وضغط على زر الكاراج... فعبست:

ـ أريد النزول إلى الطابق السفلي لا إلى الكاراج. فلا أملك سيارة!

فابتسم بلطف:

ـ لكنني أملك واحدة.. وهذا يعني أن بإمكاني إيصالك إلى مكتب البريد. إنه على طريقي.. فبريدي هو ما تحملين.

حاولت مرة أخرى الضغط على الزر.

ـ قد يكون بريدك، ولكنني المسؤولة عن إيصاله. إنه عملي، أرجوك دعني وشأني، فأنا أفضل أن أسير.

أمسك يدها من جديد:

ـ آه.. لكنني مصرّ. إياك أن تنسي أنني رئيسك.

تمت الرحلة إلى مكتب البريد بصمت وهناك أوقف السيارة في مكان مخصص، ثم قبض على حقيبتها وهي تحاول فتح الباب. تصاعد أثناء الرحلة من المكتب إلى البريد التوتر في نفس باميلا حتى كاد يصل إلى حد لا يُطاق، فحاولت السيطرة على تنفسها لئلا

يظهر توترها في صوتها وهي تقول له:

ـ أتسمح بأن تعطيني حقيبتي؟

لكنه لم يتأثر:

ـ لماذا؟ ألا تثقين بي؟

أفلت لسانها من عقاله فصاحت بصوت حانق غاضب:

ـ بالطبع أثق بك! وما شأن هذا بذاك؟ أريد حقيبتي! إنها لي وأنا بحاجة إليها. ولا أجد فائدة من هذا النقاش السخيف.

ـ نقاش سخيف. أجل. أتظنين أنني أحتاج لحقيبتك أو لمحتواها؟ سأحتفظ بها حتى تعودي من مكتب البريد... فالرسائل جاهزة ولن تحتاج إلى حقيبتك.

ـ لكنني لن أعود إلى سيارتك.. سأذهب مباشرة إلى المنزل.

ـ عظيم.. ضعي الرسائل، ثم أقلك بعد ذلك إلى منزلك، إنه ليس ببعيد عن طريقي. أما حقيبتك فستكون في الحفظ والصون معي. والآن، لماذا لا تتحركين؟ الوقت يضيع بهذا النقاش السخيف كما تفضلتِ وقلت. فهيا بسرعة.

صفقت باب السيارة وراءها بغضب ثم توجهت إلى البريد وما هي إلا دقائق حتى عادت ولكن هذه الفترة القصيرة لم تقلل من سخطها. ارتمت على مقعد السيارة ثم صفقت الباب من جديد.

شغّل بول محرك السيارة، ثم نظر إليها:

ـ أين تحبين أن نتناول العشاء؟

قالت بإصرار:

ـ أود الذهاب إلى منزلي.

ـ حسناً.. إلى المنزل.. رغباتك أوامر.

راح يصفر وهو يقود السيارة. حسناً، لقد قام بمهمته بنجاح،

وعليه ستمضي هي ما تبقى من الأمسية مصطلية بغضبها أما هو فسيحتفل بنجاحه.

أسوأ ما في الأمر أنها غير قادرة على فعل شيء. وما من شك في أنه كان جاداً حينما قال إنه سيدمر مستقبلها إذا حاولت الاستقالة من العمل. سيجعلها تدفع الثمن حقاً، ثمن خدعتها.

توقفت السيارة وهي ما تزال غارقة في أفكارها. فمدت يدها بسرعة لتفتح الباب.. ما إن طلّت برأسها إلى الخارج حتى جمدت. إنها ليست أمام مبنى شقتها.. بل في منطقة شعبية من لندن مزدحمة بمحلات لبيع النقانق والسجق والجبنة، وبدكاكين البقالة وفي هذه المحلات مأكولات أوروبية وعربية.

التفتت باميلا إلى بول، وفتحت فمها استعداداً للسؤال، لكنه ابتسم وربت يدها بلطف.

ـ لن أغيب سوى دقيقة.

وانتزع مفتاح السيارة مبتسماً لها ابتسامة ما تزال قادرة على إشعال خفقات قلبها، ثم اختفى في أحد المحلات.

فتحت باب السيارة بسرعة ثم هرعت إلى الخارج حتى اختفت عن الأنظار. عندما وصلت إلى شقتها، ودخلت إلى غرفة نومها وجدت مذكرة من بيرل: «ذهبت للقيام ببعض التمارين المسرحية. سأتعشى مع تالبوت. تركت لك طعاماً في البراد. أراك لاحقاً. بيرل».

طعاماً في البراد...! لم ترق لها الفكرة... ربما ستنسى أمر العشاء فأول ما يجب أن تفعله هو الاسترخاء في المياه الدافئة علّها تترك التوتر يخف ويتلاشى.

ما كادت تسترخي في المياه الدافئة، حتى رنَّ جرس الباب.

أفٌ! لماذا كلما دخلت الحمام رنَّ جرس الباب أو جرس الهاتف؟ حسناً.. لن ترد.. وليذهب كائناً من يكون وليعد لاحقاً.

لكن الرنين لم يتوقف. بدا لها وكأن شخصاً ما قرر الاستناد إلى الجرس والبقاء هكذا حتى يستجاب إلى طلبه... فأطلقت لعنات غليظة ولفَّت نفسها بمنشفة كبيرة وذلك دون أن تجفف جسمها، لأنها لا تريد فتح الباب، وحالما تتخلص من الطارق تعود إلى دفء الحوض. صاحت من خلف الباب الموصد:

ـ من هناك؟

ـ هذا أنا.. بول. أتسمحين أن تفتحي الباب؟

خفق قلب باميلا بجنون.. لقد لحق بها إلى المنزل ولكنها لم تفكر في أنها قد تضطر إلى مواجهة قوة اندفاع غضبه الكاملة قبل صباح الغد.

عصفت بها أعصابها وهي تفكر في الرد المناسب.

ـ ماذا تريد؟

ـ أريد الدخول! افتحي الباب!

ـ لا يمكنك الدخول، فأنا أغتسل.

ـ لا آبه لما تفعلين. فأنا أحمل كيساً ثقيلاً وأريد الدخول لأضعه من يدي. والآن، هلاَّ توقفت عن التصرف كالطفل المدلل ففتحت الباب؟

جعلتها تلميحات بول المشيرة إلى عدم نضوجها تستعر غضباً. فلفت المنشفة جيداً حول قدّها الرشيق ثم أبعدت سلسلة الأمان، وفتحت الباب:

ـ تفضل. تصرّف وكأنك في بيتك. إنما لا تتوقع مني أن أستقبلك!

وقبل أن تنتظر ردة فعله دخلت إلى غرفة نومها وأقفلت الباب. ولكنها تضايقت من سخرية الموقف.. لقد جعلها بول سجينة في دارها، وهي لا تنوي قضاء ما تبقى من الأمسية في تأمل السقف لا لسبب إلا لأنه قرر الاستيلاء على شقتها.

رمت المنشفة على السرير ثم راحت ترتدي ثيابها فاختارت جينزاً قديماً وقميصاً.. هذا منزلها لذا لن تسمح لا لبول غراينجر ولا لأي شخص آخر في الدنيا أن يحتجزها فيه.

كان بول مشغولاً بتفريغ كيس ضخم في خزانة المطبخ، فرفع رأسه عندما دخلت ونظر إليها ببرود:

ـ أرى أنك غيرت ملابسك استعداداً لتناول العشاء.. لم تكوني مضطرة، فالمنشفة كانت رائعة عليك.

فأفلت غضبها من عقاله:

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ وماذا تريني أفعل؟ أنا أحضّر العشاء الذي كنت أتوقع أن تعديه أنت لأنك مَنْ دعوتني إلى منزلك.

نظرت إليه وهي لا تصدق:

ـ أنا دعوتك؟ هل أنت مجنون؟ أنا لم أفعل هذا مطلقاً!

فتنهد:

ـ يبدو أنك فعلياً تفقدين ذاكرتك. لقد سألتك أين تودين تناول الطعام، فأصررت على المجيء إلى المنزل. كنت مستعداً لاصطحابك إلى أفخم مطعم في لندن، لكنني كما تعلمين، أحاول دائماً إرضاؤك، لذا توقفت لأشتري بعض المآكل الإيطالية اللذيذة. وعندما عدت إلى السيارة وجدتك غير موجودة، فافترضت طبعاً أنك فررت إلى المنزل لتحضري مائدة العشاء. تصوري دهشتي

عندما وجدتك في الحمام كسولة، تتوقعين مني أن أقوم بكل هذا العمل... في الواقع أؤمن حقاً أن الآنسة سامرز العجوز كانت أكثر منك كفاءة ولباقة أيضاً.

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟ فلم يحدث أن تكاسلت قط، فعملي أتمه على أفضل وجه.

قعد بول على الكرسي قرب طاولة المطبخ وأسند ظهره عاقداً ذراعيه حول صدره العريض:

ـ حسن جداً. أريني إذن كيف تمثلين دور المضيفة الرشيقة واشرعي في إعداد عشاء لذيذ مما اشتريته. ليس من حسن الضيافة دفع الضيف إلى القيام بواجبات المضيف، إلا إذا كان لديك ما تقدميه قبل العشاء؟ في الواقع تمنيت لو تتركين تلك المنشفة.. فما أسهل نزعها!

توجهت باميلا إلى المطبخ كالمجنونة وهناك راحت تضع الأطباق والمناديل على الطاولة. ثم راحت تفك الأكياس التي اشتراها قائلة بحنق:

ـ أنت ضيف غير مدعو.

ـ هذه نقطة قابلة للنقاش. فأنا واثق أنك دعوتني للعشاء في منزلك... حتى ولو كنت مخطئاً في تقديري، فالمضيفة الرشيقة الكريمة تفعل ما بوسعها ليشعر الضيف بأنه في منزله، مدعواً كان أم لا؟

فكرت في نفسها: حسنا سيد بول غراينجر، هذه لعبة يستطيع أن يلعبها شخصين. وأنا لست غبية كما تظنني.. قد لا أكون مثلك شهيرة في عالم البورصة، لكنني قادرة تماماً على تلقينك ما يتعبك.

ـ أنت على حق سيد غراينجر.. أنا مقصرة في واجباتي كمضيفة. لا أعرف ماذا دهاني. والآن. اجلس وسأقوم بما وسعني.

ولكن سخريتها ضاعت معه، فقد استرخى في مقعده:

ـ هكذا أفضل. اعطيني مفتاح العلب لأفتح هذه الزجاجة.

فابتسمت باميلا وأعطته ما طلب ثم وضعت أمامه كوبين. فوقف ليتقدم إلى الناحية الأخرى من الطاولة وأمسك الكرسي ليقدمه لها، فجلست تنظر إلى ما حضّرته من طعام أمامها:

ـ يبدو أنك اشتريت كل ما في المخزن. ما كل هذا؟

ـ إنها الأطعمة الفرنسية والإيطالية المفضلة لديّ. أحب هذا النوع من الأطعمة... هذا باذنجان متبل على الطريقة التركية، وهذا فطر مخلل، وتلك قرون فليفلة حمراء حارة.. أما اللحم والجبن فهي ألذّ من أن أصفها لك. جربيها ثم أشرح لك ما هي.

جربت باميلا قليلاً من كل شيء وتمتعت بها كل التمتع، ما إن انتهى الطعام حتى كانت قد نسيت غضبها فقد ارتفعت معنوياتها، واستطاعت تبادل الحديث مع بول بيسر وود. بعدما نظفت باميلا الطاولة أعدت القهوة كما يحبها.. ثم حملت الحلوى والقهوة إلى غرفة الجلوس، وهي تشعر بالراحة فقد كان بول دمثاً بطريقة ساحرة أثناء العشاء.

خلعت حذاءها، ورفعت قدميها اللتين أسرعت تضعهما تحتها قبل أن تجلس على المقعد الوثير، متناسية عدائيتها وغضبها. سألها فجأة:

ـ لماذا لا تطلقين شعرك.. هذا الرباط السخيف يفسد صورتك الجميلة.

عندما وجدتك في الحمام كسولة، تتوقعين مني أن أقوم بكل هذا العمل... في الواقع أؤمن حقاً أن الآنسة سامرز العجوز كانت أكثر منك كفاءة ولباقة أيضاً.

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟ فلم يحدث أن تكاسلت قط، فعملي أتمه على أفضل وجه.

قعد بول على الكرسي قرب طاولة المطبخ وأسند ظهره عاقداً ذراعيه حول صدره العريض:

ـ حسن جداً. أريني إذن كيف تمثلين دور المضيفة الرشيقة واشرعي في إعداد عشاء لذيذ مما اشتريته. ليس من حسن الضيافة دفع الضيف إلى القيام بواجبات المضيف، إلا إذا كان لديك ما تقدمينه قبل العشاء؟ في الواقع تمنيت لو تتركين تلك المنشفة.. فما أسهل نزعها!

توجهت باميلا إلى المطبخ كالمجنونة وهناك راحت تضع الأطباق والمناديل على الطاولة. ثم راحت تفك الأكياس التي اشتراها قائلة بحنق:

ـ أنت ضيف غير مدعو.

ـ هذه نقطة قابلة للنقاش. فأنا واثق أنك دعوتني للعشاء في منزلك... حتى ولو كنت مخطئاً في تقديري، فالمضيفة الرشيقة الكريمة تفعل ما بوسعها ليشعر الضيف بأنه في منزله، مدعواً كان أم لا؟

فكرت في نفسها: حسنا سيد بول غراينجر، هذه لعبة يستطيع أن يلعبها شخصين. وأنا لست غبية كما تظنني.. قد لا أكون مثلك شهيرة في عالم البورصة، لكنني قادرة تماماً على تلقينك ما يتعبك.

ـ أنت على حق سيد غراينجر.. أنا مقصرة في واجباتي كمضيفة. لا أعرف ماذا دهاني. والآن. اجلس وسأقوم بما وسعني.

ولكن سخريتها ضاعت معه، فقد استرخى في مقعده:

ـ هكذا أفضل. اعطيني مفتاح العلب لأفتح هذه الزجاجة.

فابتسمت باميلا وأعطته ما طلب ثم وضعت أمامه كوبين. فوقف ليتقدم إلى الناحية الأخرى من الطاولة وأمسك الكرسي ليقدمه لها، فجلست تنظر إلى ما حضّرته من طعام أمامها:

ـ يبدو أنك اشتريت كل ما في المخزن. ما كل هذا؟

ـ إنها الأطعمة الفرنسية والإيطالية المفضلة لديّ. أحب هذا النوع من الأطعمة... هذا باذنجان متبل على الطريقة التركية، وهذا فطر مخلل، وتلك قرون فليفلة حمراء حارة.. أما اللحم والجبن فهي الذّ من أن أصفها لك. جربيها ثم أشرح لك ما هي.

جربت باميلا قليلاً من كل شيء وتمتعت بها كل التمتع، ما إن انتهى الطعام حتى كانت قد نسيت غضبها فقد ارتفعت معنوياتها، واستطاعت تبادل الحديث مع بول بيسر وود. بعدما نظفت باميلا الطاولة أعدت القهوة كما يحبها.. ثم حملت الحلوى والقهوة إلى غرفة الجلوس، وهي تشعر بالراحة فقد كان بول دمثاً بطريقة ساحرة أثناء العشاء.

خلعت حذاءها، ورفعت قدميها اللتين أسرعت تضعهما تحتها قبل أن تجلس على المقعد الوثير، متناسية عدائيتها وغضبها. سألها فجأة:

ـ لماذا لا تطلقين شعرك.. هذا الرباط السخيف يفسد صورتك الجميلة.

فتمطت بكسل:

ـ أنا متعبة جداً الآن.. كما إنه لا يضايقني.

هبّ من مقعده:

ـ حسناً، ولكنه يزعجني لذا سأحلّه من عقدته.

عندما اقترب منها انتفضت باميلا. ولكنه مدّ يده إلى شعرها وراح ينزع الدبابيس ثم يحل العقدة وبعد ذلك راح يمرّر أصابعه في كثافته الحريرية ولم يلبث أن رفع رأسها حتى التقت عيناها عينيه اللتين ما إن قرأت ما فيهما من معاني، حتى استوت في جلستها توشك أن تعترض... فجأة سمعا صوت المفتاح في قفل الباب ثم ما هي إلا لحظة حتى دخلت بيرل الغرفة، يتبعها تالبوت.

نظرت بيرل إلى بول وهو منحنٍ فوق باميلا ثم رفعت حاجبها بأناقة، وقالت بصوتها العذب الصافي:

ـ آسفة على مقاطعتكما. لكنني ما كنت أعلم أن بصحبتك أحد.

أرجع بول ظهره مستقيماً، وسحب يده عن عنق باميلا:

ـ تأخرنا في إنهاء العمل في المكتب فاقترحت أن نتمتع ببعض الطعام في المنزل. لقد احتسينا القهوة منذ برهة وها أنا أوشك على المغادرة.

جلس تالبوت في كرسي هزاز:

ـ لا ترحل بسببنا بول. كنت سأزورك غداً.. ربما توفر عليّ العناء.

ـ ما من فائدة في هذا تالبوت، أمامنا غداً يوم شاق، لذا يجب أن أذهب.. اتصل بي صباحاً لنحدد موعداً للغداء فيما بعد.

لوّح بيده لباميلا وخرج. فقالت بيرل:

ـ حسناً.. ما كان كل هذا؟

ـ كما سمعت. تأخرنا في العمل وقررنا تناول عشاء سريع في المنزل. الآن سأذهب لأنام.

تمنت لهما ليلة سعيدة، ودخلت إلى غرفتها، ثم أخذت تتجول فيها، مختارة ما سترتديه غداً صباحاً، وعندما أنهت اختيارها راحت تعلق الثياب بعناية على باب خزانتها... ولكنها أثناء ذلك لم تستطع إلا أن تفكر، واحمرار الإثارة يحرق وجهها، في ما كان سيحدث لولا وصول بيرل وتالبوت في تلك اللحظة.

انسلّت بين أغطية الفراش ترفعها فوقها.. لكن ما من شيء قد يمنع أفكارها من العودة إلى بول، وإلى تصرفاته الطيبة الرقيقة، وما من شيء أيضاً قد يحول دون أن تتمنى لو لم يقاطعهما أحد.

* * *

٦ ـ يأخذ ما يريد

كان اليوم التالي يوماً مجنوناً كما توقع بول. . . وكذا كان حال الأيام التالية. فقد سعى بول وراء عدة أسهم تصدرت واجهة المبيعات، فكان أن بقيت باميلا مشغولة بتسجيل طلباته.

كانت الساعة يوم الخميس قد تجاوزت السادسة عندما استدعاها قائلاً إن الطلبات جميعها نفذت، وإن عليها تسجيلها وإرسالها إلى قسم الحسابات للتأكد من الأرقام المسجلة. . وفيما هي واقفة قرب مكتبه تهادت إليها رائحة عطر فرنسي فاخر.

رفعت باميلا رأسها فشاهدت قوام سوزي هاليداي النحيل المكسو بزيّ أنيق أزرق اللون حريري. في اللحظة التي التقت عيونهما، شاهدت باميلا الصدمة الكاملة تجمّد وجه سوزي. وانفتح فمها الرائع دهشة:

ـ أنت! ماذا فعلت. . .؟

وقبل أن تكمل جملتها وقف بول مرحباً بها. فنسيت كل ما يتعلق بباميلا وأسرعت إليه ترتمي بين أحضانه.

ـ حبيبي. . اشتقت إلى رؤيتك كثيراً، فلم أستطع البقاء مدة أطول. هل اشتقت إليّ؟

نظر بول من فوق رأس سوزي إلى باميلا:

ـ هذا كل شيء الآن آنسة سامرز. رجاءً اهتمي بتصحيح الطلبات مع المحاسبة؟

تركت باميلا المكتب مغلقة الباب وراءها، وضحكة سوزي الناعمة ترنّ في أذنيها. أحست بقبضة تمسك بقلبها وتشده، فلسوزي جو من الرفعة لن تصل إليه. إنه جو الثقة الأكيدة التي تتأتى من العيش في وسط ارستقراطي يسمح للمرء بشراء كل ما يرغب فيه.

انشغلت بترتيب طلبات الشراء كل بحسب فئته لتوصلها إلى غرفة الكومبيوتر. . . وخرج بول وسوزي، التي كانت تتعلق بذراعه بتملك يُظهِر بوضوح أن هذا الرجل. . . لها.

حرّر بول ذراعه من سوزي وربت على يدها. ثم تقدم إلى طاولة باميلا ونظر بسرعة إلى الطلبات المرتبة:

ـ لقد كان يومنا حافلاً بالعمل اليوم آنسة سامرز. سأخرج الآن. لماذا لا تذهبين أنت أيضاً إلى المنزل وغداً نهتم بهذه؟

ـ لا بأس سيد غراينجر، ليس لديّ معهد اليوم، أستطيع البقاء قليلاً حتى أنقل هذا العمل إلى غرفة الكومبيوتر.

فقطب جبينه:

ـ لا حاجة إلى العجلة خاصة وأنني لا أحب أن تتأخري، فهذه الشوارع تُقفر ما إن تقفل سوق القطع.

دنت سوزي من بول وأمسكت يده تجذبه نحو الباب:

ـ حقاً يا بول. . إنها ليست عادتك. . . تبدو كأنك أم رؤوم. الآنسة سامرز قادرة على العناية بنفسها. . فللفتيات العاملات مقدرة على تخطي الصعاب.

جرّته إلى خارج الغرفة والتقطيبة ما انفكّت على وجهه.

عملت باميلا بسرعة، مدركة أن الطاقة الغاضبة هي التي تدفعها. كانت الساعة توشك أن تصبح الثامنة عندما سمعت وقع أقدام ثقيلة في الممر المهجور، فذعرت لأنها تذكرت فجأة أنها لم تقفل الباب الخارجي، وأنها وحيدة في مكتب فارغ.

حين انفتح الباب كانت تمسك سماعة الهاتف بيدٍ مرتعشة وتطلب طوارىء الشرطة، ولكن الجسد الذي سدَّ الباب كان جسد بول غراينجر، فتنفست باميلا الصعداء ثم أعادت السماعة إلى مكانها.

ـ لقد أرعبتني. لم أتوقع عودتك هذا المساء.

انعقد حاجباه بعبوس أسود:

ـ أنت لا تسمعين أبداً. ألم أطلب منك عدم البقاء بعد ساعات العمل؟ كان بإمكان مطلق شخص الدخول من هذا الباب كما فعلت أنا تماماً.. ماذا كنت ستفعلين عندئذ؟

ـ أنا قادرة على التعامل مع الموقف. كنت أتصل بالشرطة عندما دخلت.

ـ قد يجدونك ميتة عندما يصلون. ألم أقل لا تتأخري.. أنا أتوقع من موظفيَّ تنفيذ أوامري، ولكنني أراك مصممة على بذل المستحيل حتى أفقد صبري وأطردك. حسناً.. لن تنجحي في هذا... ربما أمضيت حياتك تديرين الرجال حول إصبعك.. ولكنني مختلف. فأنا لا أجد باميلا الجديدة أكثر جاذبية من باميلا العجوز، لذا سأحتفظ بك حتى أثبت لك هذا. ستبقين ملتصقة بهذه الوظيفة حتى أطلب منك الرحيل. لكنني لن أسمح لك بإغضابي حتى أطردك. والآن وضبي أغراضك.. سنخرج.

أمسكت كومة الأوراق:

ـ سأضع هذه مكانها. لن أتأخر...

فقاطعها ضارباً يدها بعنف ليعيد الأوراق إلى الطاولة:

ـ دعيها من يدك! قلت سنخرج!

أمسك بمعصمها وجرّها إلى الباب.

عندما أصبحا في المصعد نظرت إليه:

ـ لا أستغرب عدم احتفاظك بسكرتيرة أخرى غيري. فأنت طاغية!

نظر إليها بول ببرود:

ـ لا أعتقد أن هناك شيئاً من الديكتاتورية إذا توقع رب العمل من موظفيه الطاعة.. لقد طلبت منك ألا تتأخري في العمل، فكان أن تعمدت عصيان رغباتي.

ـ كان لديّ عمل أنهيه... فمن صميم عملي تحضير هذه الطلبات للكومبيوتر صباح الغد.

ـ ومن صميم عملك أن تطيعي أوامري أنا. مسؤوليتك الوحيدة هي الإذعان لتعليماتي.

ـ حسناً.. أنا لا أوافقك الرأي سيد غراينجر، فأنا مسؤولة أمام الشركة.

ـ أنا الشركة... آنسة سامرز... ومسؤولياتك لي وحدي!

اقتادها نحو السيارة حيث جلست في المقعد الأمامي صافقاً الباب خلفها، ثم استوى إلى مقعد القيادة وقال بصوت متزن:

ـ هل تناولت الطعام؟

ـ لست جائعة.

ـ لا أدري لماذا أزعج نفسي بالسؤال.. حسناً لا أظنك تناولت طعاماً. وبما أنك غاضبة غضباً سيجعلك تذهبين مباشرة إلى النوم

دون عشاء فقد قررت أن نأكل شيئاً قبل أن أوصلك.

التفتت إليه وقطع الجليد تتساقط من صوتها:

ـ قلت لك لست جائعة!

ـ حسناً أنا جائع. فإن شئت راقبيني وأنا مسترسل في إرضاء شهيتي.

فسألته بصوت خفيض:

ـ ألم تأكل مع الآنسة هاليداي؟

ـ لم أكن جائعاً.. وقد حدث أن أصبيت بالصداع فكان أن أوصلتها إلى البيت.

فقالت بسخرية لاذعة:

ـ آه.. وهكذا سعيت إليَّ بديلة عنها.

لمعت عينا بول بدهاء، وكأنه يسترخي ويخرج من مزاجه السوداوي:

ـ يا عزيزتي الآنسة سامرز.. لن تكوني أبداً بديلة عنها. ليس هناك مقارنة بينكما على الإطلاق.

غلت باميلا غضباً:

ـ أووه.. تكاد تجنني غضباً!

ظلَّ بول يقود السيارة وقد استرخت أساريره:

ـ أجل.. هذا صحيح.. أليس كذلك؟

وابتسم لها بخبث.

تجاوزت السيارة مبنى البريد في شارع أوكسفورد، ذلك البرج المرتفع الشهير. ثم انعطفت فوق أحد الجسور مروراً بالوسط التجاري الذي راحت باميلا تتأمل مبانيه المرتفعة حتى وصلا إلى أحد المجمعات التجارية المزدحمة بمحلات الثياب ومحلات

العطور والزينة والمطاعم.

هذا المكان يبدو بعيد المنال عنها هي الموظفة البسيطة التي تعتمد في معيشتها على أجر السكرتارية. أشاحت بصرها عن الواجهات المغرية:

ـ إلى أين نحن ذاهبان؟ أنا متعبة حقاً وأريد العودة إلى البيت.

ـ لا تقلقي، ستصلين إلى المنزل في الوقت المناسب.

دار حول المجمع وتوقف أمام مدخل تظلله خيمة حمراء، وهو مدخل فندق فخم. حينما أصبحا على مقربة من المدخل أسرع الحارس لفتح باب باميلا، فيما أسرع موظف آخر لأخذ مفاتيح السيارة لركنها في مكان جيد. بعد ذلك وضع بول يده على خصر باميلا واقتادها بثبات ليجتازا الباب الزجاجي ذي الإطار النحاسي اللماع، مستخدمين مصعد المطعم وصولاً إلى طابق المبنى العلوي، حيث تناهت إلى أسماعهما موسيقى رومانسية مؤثرة كانت تأتيهما من باب المقهى المضاء بالشموع.

حيّا كبير السقاة بول باسمه وتقدمهما إلى طاولة منعزلة مخصصة لاثنين تشرف على الهايد بارك الشهير وعلى قصر وستمستر الذي تتلألأ أنواره على نهر التايمز.

طلب بول لنفسه كوكتيلاً ولباميلا كأس عصير الليمون البارد ثم ودون أن يسألها ما تريد من طعام، طلب من الساقي أن يحضر لهما ما يطلبه، ثم استراح في مقعده.. وعيناه فضوليتان وهانئتان في آن معاً.

ـ أحب المجيء إلى هذا المطعم لأنني أحظى بمنظر للهايد بارك مختلف عن المنظر الذي أراه مطلاً من شرفتي.. تذكرين ذلك المنظر، أليس كذلك؟

احمرَّ وجه باميلا وقد تذكرت المناسبة جيداً. ارتشفت رشفة من شرابها البارد ثم التفتت إلى الباب الزجاجي القريب منها. نعم بول يتحدث عن المنظر البادي أمامهما ولكن عينيه ما برحتا وجهها لحظة. عضّت على شفتها السفلى بعصبية، محاولة السيطرة على التوتر الذي بدأ يتصاعد في داخلها.

ـ سألتك إن كنت تتذكرين المنظر من شقتي. أتودين الإجابة أم تفضلين قضاء الأمسية بوجوم؟

ـ لست واجمة إنما لم أحب وجودي في هذا المكان. أنا تعبة وأود الذهاب إلى المنزل.

ـ إذن، عليك الذهاب إلى المنزل في الوقت المناسب. اعتبري هذا العشاء جزءاً من عملك. وإن وجدته عملاً شاقاً، أقترح عليك إطاعة أوامري في المستقبل. فأنا على عكسك آنسة سامرز، أعني ما أقول، ولا أتلاعب دون التفكير في العواقب.

ـ أنا آسفة لما فعلت، ولقد اعتذرت. فماذا تريد غير هذا؟ لا أرى سبباً لغضبك.

ـ أنا لا أغضب عادة آنسة سامرز بل أنتقم. وها أنا الآن أطالب بأن تدفعي ثمن السخرية التي كانت على حسابي.

ـ أنا لم أسخر! بل كان ما أردته وظيفة فقط أتعلم منها المزيد عن عالم المال.

أكمل بول شرابه قبل أن يجيب:

ـ حسناً.. أستطيع القول إنك حققت مرامك. ويجب أن تعترفي أنك تتعلمين الكثير عن عالم الاستثمار.

هزت باميلا رأسها:

ـ صحيح. الوظيفة رائعة أتمتع بها في الواقع.. لكن

الأمر...

ـ أي أمر آنسة سامرز؟

ـ أوه.. لا أدري.. أعتقد أنه لا شيء.

كيف تقول له إنه هو من يصعب الأمور عليها؟ لو يتركها وشأنها لاستطاعت السيطرة على نفسها. لكنها لن تنجو إن بقي يضغط عليها كما يفعل.

وصل العشاء، فتمتعت باميلا بلحم الخروف الطري مع البطاطا المسلوقة.. بعد العشاء أصرَّ بول على أن تجرب ما تخصص بصنعه المطعم من قهوة غنية سوداء، مضافاً إليها الشوكولا والكريما. فجلست هانئة تتمتع بطعم الشراب الدافىء الحلو.

راقبها بول وهي تشرب قهوتها، ثم مال إلى الأمام يمد إصبعه ليمررها على شفتها العليا ليزيل أثر الكريما.

توقفت أنفاسها في حلقها لهذه الحركة الطوعية، فتراجعت إلى الوراء، خائفة من الإحساس المجنون الذي اجتاح جسدها.

أنزل بول يده ولكنه ظلَّ يحدق فيها. ثم وقف دون أن يبعد نظرته عنها، ودنا منها واضعاً يديه على كتفيها قائلاً بصوت دافىء:

ـ فلنرقص.

ـ يستحسن ألا نفعل.. فلدي الكثير من العمل غداً وأنا أريد البدء باكراً.

أمسك يدها ورفعها عن الكرسي:

ـ لا داعي إلى حضورك باكراً عندما تقضين الأمسية مع رئيسك.

كانت أنفاسه دافئة وناعمة على أذنها وهو يقول:

ـ استرخي.. إنها مجرد رقصة. هيا.. تحركي.. أحس بك

متصلبة كالخشب.

دفعت باميلا يدها عن صدره، وأبعدت رأسها لتنظر إليه. صوتها أجش يرتعش هامساً، وعيناها تتوسلانه:

ـ أرجوك دعني أذهب.

قست تعابير وجهه ولكنه خفف من ضغط ذراعيه عليها وألقى يده بلطف على خصرها ثم اقتادها ثانية إلى الطاولة. فالتقطت حقيبتها، ثم غادرا المبنى دون أن يتفوها بكلمة.

زجَّ بول بالسيارة بين زحام السيارات، ثم بعد بضعة دقائق، التفت إليها ولكنها لم ترَ على وجهه بادرة تشير إلى تأثره.

ـ لا أعتقد أنك قد تفكرين في البقاء عندي موفرة بذلك عليَّ توصيلك إلى منزلك؟ فإن بقيت أستطيع اصطحابك إلى المكتب صباحاً، ولن يجرؤ أحد عندئذ على انتقاد تأخرك.

تحوّل توتر باميلا إلى غضب عارم:

ـ لا.. بالطبع لن ينتقدوا تأخري، لأنهم سيكونون مشغولين بالأقاويل.. أعلم أنه لن تساوي سمعتي شيئاً عندما تنتهي أقاويل الشركة مني. لماذا لا تذهب باحثاً عن الغالية.. سوزي؟ فأنا واثقة أنها ستسعدك الليلة!

ـ هذا صحيح بالطبع. إنها على عكسك تماماً. عاطفية، رقيقة، لا تملك لسانك اللاذع الشرير.

وأوقف السيارة.. فأدركت باميلا أنهما وصلا إلى شقتها، مدت يدها إلى الباب لكن بول أمسك بها.

ـ السيدة المهذبة تنتظر عادة السيد المهذب حتى يفتح لها باب السيارة.

بقيت جامدة في مكانها فيما أسرع يترجل من السيارة ليفتح لها

الباب. قالت له ببرود:

ـ لم أكن أعلم بوجود سيد مهذب في الجوار القريب.

ـ نكتة ظريفة.. لكنك ستدفعين ثمنها.

أغلق باب السيارة ووقف ينتظرها حتى تدخل إلى المنزل، فالتفتت إليه تشير إليه بنفاذ صبر أن يبتعد ولكنه أسرع يتقدمها ليفتح لها باب المنزل الأمامي بطريقة اضطرت معها للمرور تحت ذراعه.. بعد ذلك تابعت سيرها، مع العلم أنها ما تزال تشعر به يتعقبها، فوقع أقدامه الثابتة تدوي في المدخل.

وقفت أمام باب شقتها، وأخرجت مفتاحها من الحقيبة، ولكن سرعان ما غطت يده الضخمة يدها، وأخذ المفتاح بلطف. فتح الباب ثم أعاد المفتاح، فلما تحركت لتدخل مدَّ يديه يمسك بكتفيها ويديرها إليه.

ـ لم تنتهِ الأمسية بعد!

كانت النار الملتهبة في عينيه مزيجاً غريباً من الرغبة والغضب. جذبها إليه بوحشية فجاء عناقه خالياً من اللطف لأنه لم يكن يطلب منها شيئاً بل كان يأمرها، يأخذ ما يريد، يسحق جسدها بين ذراعيه القويتين.

بلغت درجة حرارة دمها الغليان، وغمرتها زوبعة ودوَّامة من العاطفة المشبوبة حتى أصبحت عاجزة بين يديه. فارتفعت ذراعاها تطوقان عنقه استجابة لعناقه.

عندما أحسَّ بتجاوبها، رقت لمساته وأصبحت يداه الفولاذيتان أخف من الريشة. كانت تسمع خفقات قلبه المتسارعة تحت يديها اللتين راحت تمررهما على صدره.

عندما رفعت عينيها أحست بذراعيه ترتفعان إلى عنقه، وبيديه

تبعدان يديها عن عناقه. كان ينظر إلى ارتعاشتها والسخرية تلمع في عينيه:

ـ سأعتبر هذا العناق دفعة على هجومك عليّ منذ لحظات.

أمسك أكرة الباب يفتحه بها ثم تركها تدخل إلى الشقة قائلاً:

ـ اقفلي الباب وراءك، فلا يمكن أن تعرفي أي نوع من السادة غير المهذبين قد يكون مختبئاً في الظلام.

دوّت ضحكته المتعجرفة في أذني باميلا عندما كانت خطواته تبتعد، فأقفلت الباب ودخلت إلى غرفة نومها، وبدأت تستعد للنوم. اندست تحت الغطاء تحملق إلى السقف متذكرة دغدغة لمساته واستجابتها له.

إن آخر ما ترغبه في الحياة، هو الوقوع في حب بول غراينجر. لكن هذا ما وقع فعلاً، وهذا الواقع يتطلب منها بذل ما أوتيت من قوة إرادة لتقاوم تهجماته إن قرر حقاً تنفيذ رغباته.

أمضى بول اليوم التالي في مقر الشركة الرئيسي الكبير يحضر اجتماعاً للإدارة، فتنفست باميلا الصعداء وصبّت اهتمامها على عملها، متحررة من التوتر الذي يولّده وجود بول.

أمّنت لها نهاية الأسبوع كذلك راحة من عذاب وجوده، باتت بيرل في الوقت الحالي تقضي معظم أوقات الفراغ مع تالبوت، لذا كانت باميلا تسترخي في الشقة وحيدة. في صباح هذا الأحد سمعت بيرل تغادر للانضمام إلى تالبوت في منزل أحد المنتجين ولكنها لم تودع بيرل بل عادت إلى النوم.

أزعج رنين متواصل متواتر مسمعيها فمدّت يدها لتسكت المنبه ولكنها اكتشفت أنه صامت. قطبت ونظرت إلى الهاتف قرب السرير وإذا بالرنين مستمر فعلمت أنه جرس الباب. تناولت روبها عن

طرف السرير، ولبسته دون أن تربطه وأسرعت حافية القدمين ترد.

كانت ما تزال نعسى عندما صاحت:

ـ من الطارق؟

ـ هذا أنا... بول.

حاول عقلها الناعس التفكير في الموقف. إنه الأحد ولا يعقل أن يتوقع منها أن تكون في العمل. إذن لماذا حضر بول غراينجر إلى هنا؟ هل حدث شيء؟ أأصيب وجاء يطلب مساعدتها؟

فتحت الباب بسرعة. فدخل بول كالعاصفة، ولكنها ضغطت بيديها على صدره وسألته بلهفة وخوف:

ـ ماذا حدث؟ ما الأمر؟

طافت عيناه على جسدها ثم استقرتا على وجهها قبل أن يغلق الباب وراءه ليحتويها بعد ذلك بين ذراعيه برقة، مخفضاً رأسه ليطبع قبلة على شعرها:

ـ لم يحدث شيء باميلا.. لِمَ هذا القلق كله؟

تنهدت بارتياح. ثم تذكرت مظهرها غير المحتشم فشعرت بالاحمرار يكسو بشرتها خاصة وأن عينيه لم تبرحا وجهها.

وقفت بعيدة عنه تجذب أطراف الروب حول جسمها وتعقده عقدة مضاعفة:

ـ إذن، لماذا أنت هنا؟

خمدت النار في عينيه قليلاً بعدما قعد على كرسي هزّاز.

ـ كنت في الجوار، فاغتنمت الفرصة، لأراكِ في المنزل.

ـ حسناً.. ماذا تريد؟

ـ رويدك، رويدك.. أنت لست ودودة هذا الصباح... أليس كذلك؟

ـ لست مضطرة إلى إظهار الود. فاليوم الأحد، ومؤسسة غراينجر لا تدفع أجر خدماتي في العطلة الأسبوعية.

فابتسم:

ـ وهذا أمر جيد كذلك. يبدو أنك تنوين قضاء يومك في السرير، والمؤسسة كما تعلمين لا تؤمن خدمات كهذه لزبائنها.

حاولت قدر طاقتها إخفاء غضبها:

ـ أتسمح، أرجوك، قل لي ما تريد ثم ارحل، فأنا غير مستعدة للتعرض إلى تهجماتك.

أصبح وجهه فجأة جاداً، فترك الكرسي الهزاز وتقدم ليجلس على الأريكة قربها.

ـ لم أقل شيئاً أريد منه مهاجمتك باميلا. ألا تعرفين متى يقصد المرء المزاح؟ في الواقع.. جئت معتذراً عن تصرفي ذلك المساء. لقد وعدت ألا أتحرش بك، فكان أن نكثت بوعدي غير أنني أؤكد لك أن هذا لن يحدث ثانية. وفي الواقع أريد قضاء اليوم كله معك لأبرهن لك أنني سأتصرّف بلباقة معك من الآن وصاعداً.

هزت باميلا برأسها.. الأمر مذهل... كيف تتغير علاقاتهما مع كل التفاف في الحديث.

ـ حسناً. أقبل اعتذارك، لكن لم يكن هناك ضرورة لاجتياز هذه المسافة لتخبرني بهذا. لِمَ لم تستخدم الهاتف؟

ـ لو كلمتك هاتفياً لوجدت عذراً لئلا تمضي اليوم معي.. أليس كذلك؟

ـ لا حاجة إلى اختلاق عذر ما. لأنني بكل بساطة غير قادرة على تمضية النهار برفقتك، فلديّ أشياء كثيرة أفعلها.

ـ مثل ماذا؟

ـ أنا.. لدي.. يجب أن أقوم بأعمال منزلية، وهناك جريدة الأحد أحب قراءتها هذا عدا رسائل عليَّ كتابتها.

ـ فليؤجل هذا كله إلى وقت آخر. ولتكن الصراحة حليفتك، فما تقصدينه بالتحديد أنك لا ترغبين في قضاء اليوم معي. وهذا ليس إنصافاً. فأنا أستحق فرصة لأظهر لك أن بإمكانك الثقة بي.

بدأت باميلا بالتململ.. فالمشكلة على الرغم مما يعتقد، أنها تريد بالفعل تمضية اليوم برفقته.

لاحظ ترددها، فأمسك يديها، وأوقفها عن الأريكة:

ـ ارتدي ملابسك. ولا تتأخري. لم أتناول فطوري حتى الآن وأنا جائع.

اقتادها إلى غرفة النوم التي ما إن أصبحت فيها حتى أغلق الباب وناداها من وراء الباب:

ـ لديّ مفاجأة لك، أيضاً.

اغتسلت باميلا بسرعة. ثم اختارت ما سترتدي، فسمعته يقول من خلف الباب وكأنه يقرأ أفكارها:

ـ ارتدي ثياباً بسيطة.

أعلمتها عيناه الراضيتان أن ثوبها أعجبه. كان سروالها القطني عاجي اللون يليق بقميصها القطني المستدير الياقة الذي يصل إلى حدّ وركيها.

رافقها إلى الشارع، وسار بها متجاوزاً سيارته. فنظرت إليه حائرة لكنه أمسك يدها وأكملا المسير.

ـ لن نركب السيارة.. فلن نبتعد كثيراً.. والسير يساعد على إذكاء الشهية للطعام.

فضحكت:

ـ إن اشتدّ جوعي فلن نجد طعاماً في المدينة يشبعني، فأكاد أموت جوعاً لأنني لم أتناول حتى الآن فطوري.

ـ أعدك أن تجدي المكان الذي تقصده يستحق العناء.. فستحصلين فيه على أفضل فطور ذقته في حياتك.

كانت الأرصفة مكتظة بالناس المسرعين نحو الشارع وكانت تتناهى إليهما نغمات موسيقية هي مزيج من اليونانية والإيطالية، رفعت باميلا رأسها متسائلة، فابتسم بول واستمر يشدّها وراءه. بدا لها أن الجموع جميعها تتوجّه إلى مسار واحد. عندما وصلا إلى أحد المنعطفات سلكاها وهناك علت الموسيقى، وشاهدت الزينة مدلاة من الأبنية وكأنه يوم عيد الميلاد، الشارع مقطوع في وجه السير وعربات الأطعمة تصطف على الجانبين تفوح منها رائحة الطعام الأوروبي اللذيذ. قال لها:

ـ هذه ساحة مونتساي، لا بد تعرفينها، والكنيسة المحلية تحتفل سنوياً بعيد شفيعها.. وهذه عادة ما زالت سائدة منذ زمن بعيد، يأتي الناس من كل حدب وصوب للاحتفال، وأكثرهم من الأوربيين، أما أنا فلا تفوتني سنة دون أن أشارك في الاحتفال، وفي هذه السنة سعيد أنا بك لأنك تشاركينني فرحتي.

اقتادها إلى عربة صغيرة اشترى منها بعض الخبز بالنقانق والجبن. ثم حثّا الخطى نحو الساحة يلتهمان فطورهما غير العادي، وكأن هذا أول طعام إيطالي لذيذ تتذوقه باميلا ذلك اليوم. انضما إلى المحتفلين الراقصين رقصاً فولكلورياً وإلى الغناء الإيطالي الأوبرالي. وأخيراً أمسك بول بمرفقها ليقودها بعيداً عن الزحام.

ـ لقد تأخر الوقت. وعلينا العودة.

عندما كانا يغادران الساحة رأيا الشوارع أهدأ من ذي قبل ففكرت أنها لم تتمتع قط كما تمتعت هذا اليوم.. وتصديقاً لوعده كان بول سيداً مهذباً معها بل في غاية التهذيب، فهو لم يحاول إزعاجها بالمزاح، ولا حاول إثارة غضبها. كانت ذراعه مستقرة بنعومة على خصرها وهما يجتازان المسافة المؤدية إلى شقتها. وسرعان ما أصبحا هناك، فأخذ منها المفتاح وفتح الباب. ثم قادها إلى الداخل.

بقي أمام الباب المفتوح، لم يخطُ إلى الداخل. وقال لها:

ـ أضيئي الأنوار، فتشي الشقة، وسأنتظرك هنا.

ففعلت ما قاله وعادت بسرعة:

ـ كل شيء على ما يرام... لا داعي حقاً لكل هذا الحذر.

ـ ربما لا.. لكنني أظنك تخاطرين جداً، فهذه لندن وأنت في ضاحية نائية لا في بلدة صغيرة.

ـ اعتدت أن أعتني بنفسي.. فلا تقلق يا بول.

ما يزال اسمه غريباً على لسانها ولكنه أصرّ على أن تستخدمه أقله خارج المكتب. قال لها بصوت متهدج:

ـ هذا ما أنا متأكد منه. ربما اعتدت على العناية بنفسك والمرء قد يكون كثير الاعتماد على نفسه.. إنما لا ضير أن يترك شخصاً آخر يهتم به ويرعاه.

نظرت إلى عينيه، فإذا فيهما اهتمام حنون لم تشاهده فيهما قط... نظر إليها عن كثب والرغبة تشتعل ثم تتلاشى بسرعة تحت سيطرته الفولاذية.. حبست أنفاسها لتلتقي نظراتهما، آملة أن تقرأ عيناه رسالة الحب التي أرسلتها عيناها. لكنه تنهد تنهيدة عميقة قبل أن يرتدّ على عقبيه متجهاً إلى الدرج.

أقفلت باميلا الباب، تحس بالبرد والوحدة على الرغم من حرارة أواخر الصيف.

* * *

٧ ـ على العشب الأخضر غفوة

كان العداء على وجه السيدة تاوتسند بارزاً، وكانت كلماتها تنفث سماً في وجه باميلا:

ـ يجب أن تكوني فخورة بنفسك، الكلام عن طريقة خداعك يسيطر على جو المكتب. حسناً.. إذا كان هناك ما لم ولن يسامح عليه السيد هو الكذب لذا أنا أستغرب عدم طرده لك من العمل.

كانت باميلا تتوقع ثورة الغضب هذه لدى عودة السيدة تاوتسند، لذا كانت جزئياً متحفزة لهجومها:

ـ لم أصرف من العمل لأن السيد غراينجر أدرك أنني سكرتيرة ماهرة. أليس عملي هو المهم؟ وهل لمظهري تأثير كبير؟

نظرت السيدة إلى باميلا نظرة ازدراء:

ـ بالطبع كله تأثير. فربما ظننت أن باستخدامك الماكياج المغري وبارتداء الثياب الفاضحة قد تشقين طريقاً إلى عطف السيد غراينجر. لكنك لن تنجحي.. فلن تخدع ألاعيبك بول غراينجر.

ـ ألا يقدر أحد أن يفهم أنني ما أردت يوماً سوى فرصة تخوّلني القيام بعمل جيد؟ فلست مهتمة بسرقة بول غراينجر من سوزي هالياداي بل من المستحيل أن يفضلني عليها. والآن هلاّ تركتني وشأني رجاء. لديّ عمل على غاية من الأهمية يتوجب عليّ

إنهاؤه.

ارتدّت السيدة تاوتسند على عقبيها تاركة المكتب، فتنهدت باميلا وعادت إلى عملها، ولكنها علمت أن الأمر لم ينتهِ مع السيدة تاوتسند.

كانت باميلا تجيل التفكير في الأمر الطارىء عندما رنَّ جرس الهاتف. فردت عليه لتفاجأ بصوت سوزي هاليداي:

ـ آسفة آنسة هاليداي.. فالسيد غراينجر غير موجود.

ـ لا بأس آنسة سامرز. إنما أريد محادثتك على انفراد قبل وصوله إلى المكتب. لقد لاحظت التغيير غير العادي الذي طرأ على مظهرك في الاسبوع الماضي. ولقد سمعت المزيد عن هذا الأمر من السيدة تاوتسند فأردتك أن تعلمي أنني وبول خطيبان تقريباً، لذا لا تفكري في استخدام أنوثتك لإثارة اهتمامه.

شدّت باميلا على سماعة الهاتف سعياً للسيطرة على غضبها:

ـ أنا آسفة إذا كان مظهري يزعج الجميع. لكنني غير مهتمة في بحث الأمر مع أحد ما دام ليس عندي أقل اهتمام بالسيد غراينجر. وما تعاملي معه إلا عملي بحت.

فكرت بينها وبين نفسها: وكم أتمنى ألا يكون كذلك!

فردت سوزي:

ـ يسعدني ما أسمع فأنا أكره أن أراك متألمة.. حسناً أسعدني هذا الحديث الذي جرى بيننا.. أرجوك آنسة سامرز لا تذكريه أمام بول. فلنبقهِ فيما بيننا.

وقفت باميلا تحدق بالسماعة الصامتة في يدها ثم صفقتها في مكانها. لم تتوقع أن تكلمها سوزي هكذا!... أما كفاها اضطرارها إلى السكوت أمام السيدة تاوتسند؟ وإلى تقبل مضايقات بول؟ ليس

من سبب يدعوها للسكوت عن إهانات سوزي كذلك!

تنهدت بعمق لأنها وجدت صعوبة متزايدة في التركيز على عملها والمشاكل العاطفية تحدق بها على هذا النحو.

وصل بول إلى المكتب حوالى الساعة العاشرة، فاطّلع على الأوراق المكومة فوق مكتب باميلا قبل أن يتحدث إليها:

ـ هل من رسائل؟

تعقبته باميلا إلى مكتبه، تحمل رزمة من الأوراق الزهرية اللون المخصصة للرسائل، فاستند إلى ظهر كرسيه، متفحصاً كل رسالة على حدة. ثم طلب منها إجراء اتصال ببورصة نيويورك ومن ثمَّ حمل القهوة إليه.

فعلت ما أمره وهي مندهشة من قدرته على رمي أحداث نهاية الأسبوع وراء ظهره بسهولة.

حينما دخل تود حاملاً بريد الصباح، توقف ليثرثر قليلاً.. كانا يتحدثان بهدوء عندما دخلت السيدة تاوتسند تنظر ببرود وكأنها تنظر إلى عمل فاسق.

ـ أليس لديكما ما هو أفضل من الثرثرة؟ سأبلغ السيد غراينجر بالأمر. باميلا، تعلمين خير علم ما أحس به تجاه خدعتك... فإن كنت لا تهتمين كذلك بالقيام بعملك...

مرت بطاولة باميلا وقرعت باب السيد غراينجر.. فوقفت باميلا بحدة:

ـ لا يمكنك فعل هذا. فالسيد غراينجر يتحدث هاتفياً ولن أسمح لك بالتطفل عليه.

وضعت السيدة تاوتسند يدها على أكرة الباب، ونظرت بازدراء إلى باميلا:

ـ سأتحمل كامل المسؤولية آنسة سامرز.

وفتحت باب المكتب.

رفع بول نظره إليها بانزعاج لم يحاول إخفاؤه. وأشار بيده لها بالدخول، ثم أشار إلى باميلا بالابتعاد. فابتسمت السيدة تاوتسند بلؤم لباميلا المنسحبة إلى مكتبها. بعد فترة قصيرة انطفأ نور خط الهاتف مشيراً إلى انتهاء مكالمة بول. ثم رنَّ الهاتف الداخلي ليطلب منها إيقاف المخابرات حتى ينهي عمله مع السيدة تاوتسند.

مرت على الأقل ساعة قبل أن تغادر السيدة المكتب، كانت النظرة الباردة كالثلج التي وجهتها لباميلا خير دليل على مزاجها الأسود. فراحت باميلا تفكر في ما حدث حتى قاطعها رنين الهاتف الداخلي:

ـ أرجوك احملي إلي فنجان قهوة آخر.

أحضرت باميلا القهوة، ووضعتها بصمت على طاولته ثم استدارت لتخرج، ولكن صوت بول المتجهم أرجعها:

ـ اجلسي.. هناك ما أود بحثه معك.

جلست باميلا على حافة الكرسي إلى جانب مكتبه متسائلة عما إذا كانت السيدة تاوتسند قد أقنعته بطردها وبإنهاء لعبة الانتقام. ومع أنها تكره بشدة الموقف الذي هي فيه، إلا أنها تعجز في الوقت نفسه عن مواجهة فكرة عدم رؤيته ثانية. قد تبعده عن فكرها وتتجاهله، ولكن قلبها سيبقى ملهوفاً إلى لمسته. تقلصت معدتها تقلصات صغيرة فشبكت أصابعها بقوة حتى أحست بأظافرها تنغرز في راحتي يديها.

ارتدَّ بكرسيه، شابكاً أصابع يديه محرِّكاً إياها كمن يصفق، ناظراً إلى السقف مفكراً. ثم أنزل بحركة واحدة الكرسي ووضع

يديه على الطاولة:

ـ السيدة تاوتسند غير مسرورة من عملك.. فهي تظن أنك تضيعين وقت الشركة بإقامة علاقة خاصة مع تود كاهيل.

نسيت باميلا توترها أمام الغضب الذي انتابها:

ـ هذا حديث سخيف حقاً.. فما أنا وتود بأكثر من صديقين.

ـ ومع ذلك يجب أن تعترفي بأنك تقفين وقتاً معه.. تقول السيدة إنها قاطعتكما وأنتما تتبادلان حديثاً حميماً.

لمعت عينا باميلا بالغضب:

ـ كنا نتبادل حديثاً... وماذا في الأمر؟ لماذا لا تسألها عما يزعجها حقاً؟ إنها تكاد تجن لأنني ما عدت قبيحة كعانس عجوز. ولا علاقة لغضبها وسخطها بتود.. إنها تريد طردي من العمل!

فرفع رأسه بعجرفة:

ـ آنسة سامرز أنسيت أنه لا أنت ولا هي من يتخذ القرارات المتعلقة بموظفي؟ على كل، أنا لا أحب هذا التنافر بين أفراد شركتي.. لذا حاولي مهادنة السيدة تاوتسند، وتجنبي أي نقاش شخصي مع تود في المستقبل.

أحست باميلا بأنها مظلومة، فعلاقتها مع تود بريئة لذا لا تفهم ما الذي يدفع بول إلى هذا التصرف. إلا إذا كان يريد التأكد أن لا صديق لها في كل الشركة.

بدا لها أنه إنما يسعى لتضييق السجن الذي بناه حولها، فتساءلت عما إذا كان هناك شخص ما مهما علا شأنه يستحق هذه المشاكل كلها. لكنها تذكرت أن على المرء إذا صبا إلى أمر وقرّر الحصول عليه، أن يقاتل في سبيل الوصول إليه، وهي تريد مستقبلاً مهنياً في عالم المال كما لم ترد شيئاً قط، إلا حب بول.

وما من شك لديها، أنه على الرغم من كل شيء سيعلمها الكثير عن الاستثمارات المالية.

ـ سأحاول أن أتودد إلى السيدة تاوتسند.. ولكنني أشك في أن ينفع تودد. إنها ترغب في تصديق كل سوء عني.. أما بالنسبة لتود فسأؤجل حديثي معه إلى ما بعد ساعات العمل.

فهز رأسه موافقاً:

ـ يسرني تفهمك.. عودي إلى عملك.

جعلت أحداث هذا الصباح من المستحيل عليها التركيز على عملها، وكانت تكمل أعمالاً مهملة في بعض الملفات عندما دخل تالبوت أدجلي، فرفع رأسه يتأملها وهي تستدير لتحييه، ثم غمزها وقال:

ـ حسناً.. يجب أن أعترف بأن المناظر هنا تحسنت.. هل لدى بول وقت للغداء؟

وجلس على حافة مكتبها ينتظر اتصالها ببول، الذي فتح باب غرفته بنفسه على الفور تقريباً:

ـ كيف حالك تالبوت؟ ألا يجب أن تكون حالياً في المسرح تتمرن؟ عرفت أن الافتتاح في الاسبوع القادم.

ـ هذا صحيح، وما زال هناك بعض العقد عليَّ تذليلها. أرجو أن أتغلب عليها لئلا أواجه غضب النقاد وألسنتهم الطويلة. في الواقع يبدأ التمرين في الثانية من بعد الظهر، وأريد ترتيب أموري قبل أن أغرق في العمل.. فسيتعسر الاتصال بي متى بدأت المسرحية. وأنا لا أريد ترك أي عمل ما معلق وراءي.

فأشار إليه بول بالدخول، ثم أعطى تعليمات لباميلا لمنع أي اتصال به حتى ينهيا اجتماعهما..

عادت باميلا إلى ملفاتها. كانت قد ملأت آخر ما لديها من أوراق عندما دخلت بيرل إلى المكتب.

ـ بيرل.. ماذا تفعلين هنا؟

كان في صوت باميلا دهشة ولكن بيرل ابتسمت.

ـ طلب مني تالبوت أن ألقاه هنا. دعاني إلى الغداء قبل التمرين.

ـ أنت واثقة؟ أظنه سيتناول الغداء برفقة بول. على كل اجلسي.. يجب أن يخرج بعد قليل.

كانت على وشك أن تسألها عن المسرحية عندما خرج تالبوت من مكتب بول. فتهللت أساريره ما إن رأى بيرل...

تقدم إليها ليطبع قبلة على وجنتيها.

ـ كيف تتمكنين من الظهور أجمل كلما وقع بصري عليك؟ قد يعتقد المرء أنني بعد هذه السنوات كلها قد اعتدت على الجميلات غير أنني لا أحسبني التقيت بمن يشبهك من قبل.

فابتسمت بيرل له:

ـ لا يمكنني أن أعبر عن مدى سعادتي بهذا القول هذا إلى أنني أشعر بالشعور ذاته تجاهك. ولكنني أخشى أن پام غير موافقة لأنها حذرتني منك بسبب سمعتك الرهيبة.

فهز تالبوت رأسه وقال لباميلا:

ـ لم أكن أعلم أن علي إذا رغبت في غزو قلب بيرل أن أغزو قلبك أولاً. وما دام الأمر كذلك سأبدأ بحملتي اليوم فأدعوكِ للغداء.

فردت باميلا:

ـ آسفة يا تالبوت أحب مرافقتكما. إنما أمامي عمل كثير عليَّ

إنهاؤه.

وانتبهت إلى أن عينيه توقفتا وراءها. التفتت فإذا بها تجد بول واقفاً في الباب. وضع تالبوت ذراعه على كتف بيرل، وحدق باسترخاء في وجه بول:

ـ منذ متى وأنت تدير مركباً للعبيد هنا؟ ألا تعطي عبيدك فرصة للغداء؟

فنظر بول إلى باميلا بازدراء:

ـ ولماذا تسأل؟ هل تذمرت باميلا؟ لقد أوضحت لها أن عليها في بعض الأحيان تناول الغداء في المكتب. فهذا العمل لعين، وهذا ما تعرفه جيداً، فإن كان لديها اعتراض فيستحسن أن تتذمر أمامي لا أمام الزبائن.

كان كلامه موجهاً إلى تالبوت ولكن عينيه لم تبرحا وجه باميلا. لم يُؤثر كلامه في تالبوت.

ـ بالعكس.. لم تتفوه باميلا بكلمة تذمر. أما الرأي الذي أبديته لك فهو رأيي الخاص. كنت أدفعك إلى الخجل من نفسك لتسمح لها بتناول الغداء برفقتنا اليوم.

ـ لا أعترض على ذلك. لقد كان يوم الأمس مُرهقاً.. ولكن العمل الأكبر منه انتهى ولم يبقَ إلا عمل على الكمبيوتر إتمامه.

ـ اتفقنا إذاً. أدعو الجميع إلى الغداء. يستحسن أن نتحرك حالاً لئلا أتأخر أنا وبيرل على التمارين.

انضمت باميلا إليهم منزعجة. نادى تالبوت تاكسياً، وأعطى السائق اسم مطعم إيطالي شهير، كان فيما مضى أحد القصور القديمة في ضواحي لندن، وقد تأسس في أواخر القرن الماضي لذا كان ديكوره يعكس تلك الحقبة. فالجدران مكسوة بخشب السنديان

الأسود، والسجاد الأحمر يغطي أرض الغرفة المضاءة بنور خافت.. كان الجو كله يعطي المرء انطباعاً أنه يتناول طعامه في مكتبة من مكاتب القرن التاسع عشر.

كان بول وتالبوت معروفين هناك فاستُقبلا والفتاتين في غرفة خاصة راح فيها أحد السقاة يهتم بطلباتهم. بدأت الوجبة بكبد الأوز اللذيذ.. ثم طلب تالبوت الوجبة التالية، فطالما اعتقدت باميلا أن الطعام الإيطالي مشبع بالبهارات، ولكن تلك الوجبة كانت خفيفة لذيذة ومعدّة بمهارة.. واكتمل رضاها عندما خُتمت الوجبة بالقهوة الثقيلة الغنية.

حين غادروا المطعم، قال تالبوت إن عليه وبيرل أن يتوجها حالاً إلى المسرح وهكذا تركا باميلا وبول يعودان إلى المكتب وحدهما.

بعدما انطلق التاكسي الذي يقلُّ تالبوت وبيرل التفت بول إلى باميلا:

ـ إنه يوم جميل كان الغداء فيه لذيذاً. ما رأيك لو نعود إلى المكتب سيراً؟

فابتسمت:

ـ أنا معتادة على السير، لأنني فتاة ريفية، أتذكر؟ لكن ألست مستعجلاً على العودة؟ الساعة توشك أن تبلغ الثانية والسير سيؤخرنا على الأقل نصف ساعة.

ـ ألم أقل لك إنه ليس لدينا ساعات عمل محددة، وليس هناك من يحاسبك ما دمتِ معي.

ارتفعت يده فطوقت خصرها وكأن تصرفه هذا طبيعي جداً:

ـ جيد أنك ترتدين حذاء يناسب السير، ففيه لن تجدي صعوبة

في مجاراة خطواتي.

اشتدت ذراعه حول خصرها وألصقها به متابعاً سيره بسرعة. فأحست بأطراف أعصابها تتوتر من لمسته. كان يسير عفوياً ومع ذلك يبدو أنه يقصد في بعض تصرفاته أن يظهر مدى اهتمامه بها. ولكن أي اهتمام هذا وهي حائرة في نظرته إليها. فتارة يبدو أنها لا تمثل له إلا موظفة أقل من عادية، وأخرى تحس أنه ينتقم من خداعها له.. وما من مرة نظر إليها كامرأة جذابة، ولكن ألم يسبق أن قال لها إن لا مجال للمقارنة بينها وبين سوزي التي هي بالنسبة له أنموذج المرأة المرغوبة. ولكن على الرغم من ذلك ولسبب لا تعلمه كان يتعمد إزعاجها بالمزاح تارة وبإثارتها أخرى.

عندما مرّا «بالهايد بارك» سارا على العشب الأخضر حيث كانت أنغام الموسيقى المتنوعة المرحة تنبعث من كل مكان، فتوقفا ليصغيا إلى شاعر يلقي أشعاره على أنغام غيتاره. جلس بول على العشب وجذبها لتجلس قربه ثم وضع رأسها على كتفه.

بدأ قلبها يخفق بجنون، لكن أنغام المغني وصوته الناعم تناغما مع الجو الرومانسي فأسكتا أجراس الإنذار التي دقت في دماغها وعندما استلقى جاذباً رأسها إلى صدره لم تقاوم بل تنهدت هانئة قانعة بتوسد صدره الذي راحت تنبعث منه خفقات متسارعة ولكنه لم يكتفِ بالاستلقاء فحسب بل راحت يده تداعب أعلى ذراعها، جاذباً إياها إليه أكثر فأكثر بحنان شديد.

تلاشت دفاعات باميلا وما عادت تعبأ باهتمامه، أو بحبه لسوزي.. فلا يهمها الآن إلا الشعلة الدافئة التي كانت تنتشر في جسدها وهي متمددة بأمان بين ذراعيه القويتين. علمت أنها ستقنع بهذا الوضع ولو دام إلى الأبد. إنه أحد أيام الخريف الدافئة

والممتعة، وقد أشعرها دفء هذا اليوم بالنعاس الذي سرعان ما غلبها.

جعلتها حركة مفاجئة تنتفض مذعورة، لكنها تماسكت ودفنت رأسها أعمق في الدفء الذي تنعم به، غير راغبة في خسارة الراحة الكسولة التي كانت تسري في عروقها، فتأوهت منزعجة، وهي تحس بنفسها ترتفع وبوضعها يتغير.

اختفت الوسادة الناعمة التي كان خدها يستريح عليها وها هي مستلقية على ظهرها، لا تسندها إلا يد قوية كانت تمشط شعرها، ساحبة الدبابيس ببطء منه لتفلته بضربات ناعمة.

لامست شفتان رقيقتان عينها الأولى ثم الأخرى... ففتحتهما لتحدق بأهداب متعبة من النوم إلى وجه بول الخالي من التعبير... أحست بنفسها تتساءل بكسل، ماذا يفعل بول هنا... ولكنها كانت هانئة مسترخية بحيث لا تستطيع القيام بأقل حركة، فتابعت الاستلقاء دون حراك تحت ذراعه، ثم لم تلبث أن أحست بوجهه يقترب منها.

راحت يده الطليقة تتحرك بشكل دائري في شعرها المنسدل بلمسات أشعلت أجراس الإنذار في رأسها. وسرعان ما تصلب جسدها وتوتر تحت ذراعيه، فوضعت يديها على صدره تبعده عنها وتنسل من تحته لتتخلص منه. فتركها بسرعة وجلس يمرر أصابعه في شعره، فيما راحت عيناه تتفرسان فيها وهي تسوّي بلوزتها بأصابع مرتجفة، ثم وقفت لتمسد تنورتها ولتمسح عنها ما علق بها من عشب.

كانت حمرة المغيب تخيم على الحديقة العامة، فنظرت إلى ساعتها، وهتفت غير مصدقة:

ـ الخامسة والنصف! لقد غفونا. أنا آسفة.. بول. النوم ينقل الناس إلى دنيا غريبة. يا إلهي، كيف نمتُ. أخشى ألا تعاقبني على نومي هذا أيضاً. أقسم أنني غفوت دون أن أنتبه. أعلم أنك لن تصدقني، لكنني فعلاً لا أرغب في فعل ما يعرض عملي للخطر.

استعاد صوت بول نبرة رجل الأعمال القاسي:

ـ لا باميلا، لن أفعل ما قد يؤثر في مستقبلك المهني. أهذا ما تريدينه من حياتك؟ لا حاجة بك للعودة إلى العمل اليوم، سأرافقك إلى منزلك ثم أستقل سيارة أعود بها إلى المكتب لآخذ سيارتي.

هزت باميلا رأسها:

ـ لن أعود إلى المنزل، فلدي معهد اليوم. وبما أنني قريبة منه فسأتوجه إليه فوراً. لا تخشَ شيئاً فسأكون بخير وحدي.

فهزَّ بول رأسه:

ـ حسناً.. إذا كان هذا ما تريدينه.. ولكن متى ينتهي درسك؟

فكرت لحظات:

ـ حوالى التاسعة والنصف، لماذا؟

ـ مجرد سؤال؟ أراكِ فيما بعد.

ثم ارتدَّ على عقبيه دون أن يتفوّه بكلمة أخرى.

كانت الدروس المسائية تعطي باميلا دفعاً جديداً. في هذه الليلة وفيما هي غارقة في نقاش مع أفراد صفها سمعت صوتاً مألوفاً يناديها، فاستدارت مذهولة لتواجه بول غراينجر:

ـ بول.. ماذا تفعل هنا؟

لوّح لها رفاقها مودعين عندما توجهت نحو بول الذي تقدم

بدوره واضعاً ذراعه بشكل عفوي على كتفيها.

ـ كان لدي أعمال أبقتني أطول مما توقعت.. لذا فكرت أن أقلك ما دمت في الجوار.

فتح لها باب سيارته، وانتظر حتى جلست، ثم دار حول السيارة ليتخذ مقعد القيادة.

ـ أضيفي إلى ذلك رغبتي في الاعتذار عما بدر مني ظهر اليوم.. فلا أريد لما حدث أن يؤثر في العمل.

فتنهدت:

ـ لا تكن سخيفاً. لم يعنِ لي الأمر شيئاً.

فابتسم:

ـ يسرني شعورك هذا. ما أروع أن أسمع رأياً مطمئناً من امرأة. خشيت أن أكون قد أفزعتك أو أثرت فيك رغبة عاطفية؟ لكنني لم أفعل على ما يبدو.

نظر إليها وكأنه يترقب رداً ما. فأشاحت بوجهها عنه لئلا يرى ارتجاف شفتها:

ـ لا.. بالطبع لا. لقد أخبرتك بشعوري.

فتنهد ساخطاً وهز رأسه.

أطبق الصمت على رحلة العودة إلى المنزل الذي ما إن أصبحا أمامه حتى قال لها:

ـ أراك غداً صباحاً.

استندت إلى بابها تصغي إلى وقع أقدامه، وتفكر في أنه يحسبها مثله بلا قلب. احمرت خجلاً عندما تذكرت ما كان سيحدث لولا استعادتها وعيها في الحديقة.. لو حدث ما تخشاه

لحقق انتقامه المجنون ولرماها بعد ذلك وعاد إلى دفء ذراعي سوزي، يضحك طوال الوقت على ما أنجزه من انتصارات.

* * *

٨ ـ بيت على الشاطىء

حين وصلت باميلا إلى المكتب في الصباح التالي، وجدته مكتظاً بأشخاص لم تعرفهم. كان حرس المبنى يحاولون إخراجهم. وعندما سألت ما الأمر أعطاها أحدهم آخر نسخة من مجلة نسائية معروفة.

دخلت باميلا مكتبها لتتكىء بارتياح على الباب سعيدة بالهرب من الفوضى العارمة خارجاً، ثم لم تلبث أن جلست على مكتبها وراحت تنظر إلى غلاف المجلة التي رأت فيها صورة بول غراينجر بين عدة صور يتصدرها العنوان التالي: أشهر عشرة عزّاب في العالم.

فتحت باميلا المجلة إلى حيث المقال عن بول.. ذكر المقال عمر بول وحدده بخمس وثلاثين سنة، ثم وصفه بأنه مليونير عصامي، يهوى سباق السيارات والتنس. ثم ذكر اسم شركته وعنوانه قبل أن يخوض في تفاصيل ما يجذب النساء إليه.

كانت غارقة في قراءة المقال عندما رنَّ جرس الهاتف، فالتقطت السماعة وحينها هاجمها صوت بول الغاضب:

ـ هل شاهدتِ مقال تلك المجلة اللعينة؟

ـ أجل.. وأنا أقرأه الآن. لقد أصبحت مشهوراً..

سمعته يشتم بصوت خفيض:

- دعكِ من هذا إن سمحت باميلا؟ فلا أحب في هذا الموقف ما يدعو إلى المزاح. شقتي محاصرة بالمراسلين المتطفلين، الراغبين في معلومات إضافية، وبالنساء المعاديات اللواتي يطالبن بالحصول على ما يريده الأعزب. كيف الحال في المكتب؟

- كان هناك مشهد مرعب عندما وصلت. لكن الحرس يخرجونهم من المبنى، وأنا أتصور أن معظمهم بات في الشارع الآن.

- أفٌ لهم.. لديّ عمل متراكم لا يخولني التعامل مع الصحافيين، ومع النساء المجنونات. أصغي إلي باميلا. عودي إلى منزلك لتوضبي حقيبتك لأننا سنسافر بضعة أيام.

ترددت باميلا:

- نسافر..؟ لا أفهمك؟

بدا السخط في صوت بول:

- هيا باميلا.. لقد عانيت اليوم كثيراً من نساء حائرات.. لذا أرجوك، وفري عليّ هستيريتك فلا أقترح عليك رحلة حب بل رحلة، من أجل إنهاء ما لدي من عمل. واضح أننا لن نستطيع العمل في المدينة وما دام الأمر كذلك، فلماذا لا أستخدم منزلي الريفي الواقع في هاستنغز الذي آمل أن أجد فيه بعض الخلوة. فقلة من الناس يعرفون بأمره، وأحمد الله لأن المجلة لم تأتِ على ذكره.

- لا أستطيع السفر معك بول. لن يبدو الأمر لائقاً. ماذا

سيقول الناس؟

- أتعلمين باميلا أنه موقف لا يصدق، فبينما هناك عدد هائل من النساء المنتظرات خارج بابي المتوسلات الراجيات الانفراد بي أجد سكرتيرتي التي أحتاج إلى خدماتها وكأنها ستمضي أيامها مع رجل مفترس. اسمعي باميلا، كان يجب أن تعوفي أنه لو قُدِّر أن يحدث شيء بيننا لحدث في الحديقة العامة أمام الناس. وأعود فأؤكد لك أنني لن أفرض عليك ما لا تريدين. أريد فقط أن يستمر العمل في مؤسستي حتى تنتهي هذه الموجة المجنونة. وحتى يكون لي ذلك أحتاج إلى خدماتك وإلى مكان هادىء من أجل القيام بعملي. صدقيني، ليس جسدك بأمر جديد عليّ. أنا واثق أنني قادر على إبعاد يدي عنك... إلا إذا كان تفكيرك المتآمر يأمل العكس؟

غضبت باميلا، لكنها رفضت أن تلتقط الطعم.. فكلما جهل مشاعرها كلما كان خيراً لها. فما من علاقة قد يقودها إليها ستكون حسنة العاقبة.

- أنا آسفة بول. لكنني أعجز عن تصوري نفسي معك في عزلة على شاطىء البحر في منزل ريفي صغير. لماذا لا تصطحب السيدة تاوتسند؟

- يجب أن تبقى السيدة تاوتسند لتدير المؤسسة.. ثم من قال لك إننا سنكون في عزلة... هذا ما اخترعته بنفسك. ففي المنزل المدبرة والساقي، وهذا يعني أن كل شيء سيكون على ما يرام. أتعلمين أنك تبدين ضيقة الأفق بالنسبة لامرأة تدّعي التحرر؟

كانت باميلا سعيدة لعدم تمكنه من رؤية وجهها أو حمرة الحرج التي تنسلّ إليه. بدت فعلاً متزمتة حتى لنفسها، فكان أن أكرهت نفسها على الموافقة، وعندما أطلقت موافقتها تناهت إليها ضحكته العميقة الغنية وهو يقول:

ـ باميلا.. أنت لا تتوقفين أبداً عن إدهاشي. اقصدي منزلك لتوضبي حقائبك. سأمر بك بعد ساعة إنما انتظريني خارجاً، فلا أريد تضييع مزيد من الوقت.

بعد ساعة، كانت تجلس قرب بول الذي كان يقود السيارة بحذر بين ازدحام سير المدينة الخانق. ولكن لم يمضِ وقت حتى حوّل سيره إلى الطريق الدولية المفضية إلى هاستنغز. سألها يكسر الصمت غير المريح الذي خيّم على جو السيارة منذ صعودها إليها:

ـ تبدو أفكارك بعيدة آلاف الأميال.. فما الذي يحزنك على هذا النحو؟

ـ كنت أفكر في المزرعة متسائلة كيف لإنسان أن يترك جمال الريف ليسكن في مدينة مكتظة؟

فهز كتفيه:

ـ لقد رغبت في مستقبل مهني في عالم المال. ولا مجال لتحقيق رغبتك هذه دون العمل في المدينة، فهناك الحركة، وهناك النجاح.

فهزت رأسها:

ـ أعتقد أنك على صواب. لكنني أتمنى الحصول على إثارة المدينة ودفء العائلة.. ولكنني أطلب الكثير أليس كذلك؟

ـ لا أدري باميلا. ألم تفكري قط أنه ربما ليس مقدّراً لك أن تصبحي سيدة أعمال؟ أنا أؤمن بقدرتك على النجاح لو صممت على هذا، إنما أتساءل عما إذا كنت مستعدة لدفع الثمن. فقلة هم الأزواج الذي يتمتعون بالزواج من نساء ناجحات في أعمالهن. يحب الرجل أن تكون امرأته ناعمة هادئة، لا ديناميكية ومنافسة.

أجل، الرجل يريد أن تكون زوجته كسوزي هاليداي. فالفتيات العاملات عظيمات للمرح بضع ساعات، ولكن عندما يريد الرجل الزواج فإنه يطلبه من فراشة ناعمة لتخفف عنه ما عاناه من مشقات العمل، ولتوفر له ولأولاده المنزل اللائق. فالرجال يحاولون الحصول على ما توفره لهم الحياة: المرح مع سكرتيرة لينة العريكة في المكتب، ومن ثَمَّ الحب بين ذراعي زوجة أنيقة لطيفة، وعلى المرأة أن تختار بين الحب والعمل. ولكن، لماذا تهتم؟ فالرجل الوحيد الذي تريده هو الرجل الوحيد الذي لن تستطيع الحصول عليه.. حوّلت تفكيرها عن عذابها الداخلي، لتفكر في مشاكل بول:

ـ من أين للصحافة هذه المعلومات بول؟ ترى ألا يمكن مقاضاتهم على انتهاكهم خصوصياتك؟

ـ لا أظن أن لديّ مقومات قضية. يبدو أنني شخصية عامة شهيرة لذا عليّ أن أتوقع أن تكون حياتي كتاباً مفتوحاً، وعرضة للانتهاك على يد أي قلم صحفي يبحث عن موضوع شائق يكتب عنه. باختصار، ليس لي حياة خاصة، وأعتقد أن عليّ ألا أتذمر. فليس لديّ نصف المشاكل التي يعانيها تالبوت أدجلي مثلاً...

اسمعي، يبدو أنه جاد تماماً فيما يتعلق بزميلتك، فهل هي مستعدة للتعامل مع شخص مثله؟

ـ أوه.. إنها فتاة ناضجة تستطيع العناية بنفسها.

فكر لحظات قبل أن يقول:

ـ وماذا عنك باميلا؟ أيمكنك العناية بنفسك؟

ورمقها بنظرة استفهامية، ولكنها لم تحس بالتوتر، بل مالت إلى نافذة السيارة وردت بهدوء وثقة:

ـ بالطبع أستطيع العناية بنفسي.. يجب عليك أنت بالأخص معرفة قدراتي. فقد تأثرت حتى السيدة تاوتسند بقدراتي قبل أن يذهلها تغير مظهري.

ـ لم أقصد مهاراتك العملية باميلا بل مهاراتك النسائية. أشعر بأنك على الرغم من كلامك الشجاع عن تحررك وانطلاقك فلا زلت فتاة ريفية بسيطة في أعماق قلبك.

فردت باميلا بغضب مكبوت:

ـ حسناً.. عليك أن تغير فكرتك هذه... إياك أن تسمح لهذا الانطباع بأن يستحوذ على تفكيرك. فلا تحسبنّني بسيطة وغبية غير متحذلقة كسوزي هاليداي.

ـ نعم لقد تباحثنا أمر اختلافك عنها، ألم نفعل؟

ثم صمت، ربما يبحث في نفسه عن الفوارق بينهما.

أيتمنى لو اصطحب الأخرى؟ أنّبت نفسها لأنها وافقت على مرافقته. فقد يكون هذا بالنسبة له عمل رتيب، ولكنها تعلم أن تورطها العاطفي سيجعلها عاجزة عن إبقاء علاقتها به علاقة عمل على مدار أربع وعشرين ساعة.

ابتعد بول عن التفكير في سوزي وراح يتكلم عما يمر بهما من مناظر.

ـ هل جئت من قبل إلى الساحل باميلا؟

ـ لا.. فقد أمضيت معظم وقتي في المدينة.

فضحك:

ـ غريب. لا يصدق أهل الريف متى يصلون إلى المدينة، وأهل المدينة يتوقون لحياة الريف. أظنها القصة القديمة عن كل ممنوع مرغوب. على كل، أظنك ستستمتعين بالشاطىء، فالمنطقة مختلفة عن الريف والمدينة في آن. وأكثر ما أحبه فيها هو قربها من البحر. فما أروع أن يرى المرء المياه متدفقة إلى ما لانهاية.

نظر إليها مبتسماً وقد طافت عيناه فوق جسدها بطريقة موحية جعلتها تتحرك بقلق في مقعدها. لكن قلقها سلاّه فتمتم بكل براءة:

ـ هناك بكل تأكيد بهجة كبرى في استكشاف الكنوز المخبأة تحت سطح جليدي.

وتابع مزاجه الرائق مصفراً بجذل.

أحست باميلا بالسخط، لأنها وجدته مصمماً على مضايقتها. كيف ستتمكن من محادثته بشكل متمدن ما دام ينظر إليها وكأنها شخص يهوى المزاح معه والتلاعب بأعصابه؟ أسندت ظهرها، وجلست في مقعدها متوترة. وأخيراً أغمضت عينيها، فلا حلَّ خير من النوم، فلا يمكن لأحد حتى هو نفسه أن يجادل شخصاً نائماً.

استيقظت باميلا فراحت تنظر ببطء إلى الخارج وهناك رأت

أن السير قد تلاشى من حولهما وأن الأماكن السكنية المنتشرة على الطريق العام قد أصبحت أجدد وهي متباعدة أكثر من المباني التي كانت تراها في بدء الرحلة.

سألها بول:

ـ هل استرحتِ جيداً؟ لقد غرقتِ في النوم فغاب عنك تأمل أجزاء مثيرة للاهتمام. كانت المنطقة التي مررنا بها مشجرة باستثناء بضع مزارع، وها نحن الآن في منطقة تكتظ بالمساكن، التي دمرت جمال الأرض. هذا الطريق العام يتوسع أكثر فأكثر باتجاه دوفر، الميناء الرئيسي على القنال. وكلما ازداد اتساعاً اندفع الناس لشراء المساكن على الساحل حتى يكاد يتصل البناء بين المدن. أنا لا أحسد الأزواج الذين يمضون الساعات الطويلة على هذا الطريق للوصول إلى زوجاتهم وأطفالهم الذين يتمتعون بحياة الريف.

ـ أيعني هذا أنك لن تعرض نفسك لمثل هذا الارتحال اليومي الطويل في سبيل تأمين حياة ممتعة لعائلتك؟

فكر قليلاً ثم ردَّ بحذر:

ـ لا أعرف ما أجيب لأنني في الواقع لم أفكر في بناء عائلة، فما بالك بالحياة التي تفكرين فيها. لكنني لا أتصور أن زوجتي ستسعد في منزل صغير بعيد عن إثارة المدينة. كما لا أستطيع تصور نفسي أجزّ العشب في مرجة، وأنضم إلى ناد تنس محلي... لا.. أظن أن على حياتي البقاء على حالها، وعلى زوجتي أن تواجه متطلبات حياة ذات مستوى رفيع.

هز رأسه فجأة، وكأنه لا يصدق:

ـ كيف وصلنا إلى بحث هذا الموضوع؟ لا أرى حقاً كيف لحياتي الخاصة أن تهمك، فعلاقتنا في مطلق الأحوال علاقة عمل. أليس كذلك؟

أحست باميلا بألم نابع من كلامه الساخر ونظرته:

ـ صحيح.. بالطبع. وأظنني كنت أحاول أن أكون مؤدبة مع الرئيس.

ـ أفهم هذا. فأنت لا تريدينني أن أعلق أهمية على الحديث الذي كنا نناقشه، صحيح؟ أعني، لا يمكن أن تفكري في مشاركتي منزلاً ريفياً في ضواحي بعيدة عن المدينة.. أليس كذلك؟

ـ لا أعتقد هذا! كما لا أعتقد أننا نقوم بهذه الرحلة حتى نتخاصم، فلا مجال لنجاح زواج قد يقوم بيننا.

كان وجه بول مشعاً ببسمة تلوي شفتيه:

ـ ومن أتى على ذكر الزواج؟ هذه العلاقة الدائمة لم نتطرق إليها في حديثنا. كنت أسألك فقط عن إمكانية مكوثنا في منزل واحد. ما يدهشني كل الدهشة أن تفكر امرأة متحررة مثلك في علاقة مزعجة كالزواج. ظننت دوماً أن الزواج هو للفتيات القديمات الطراز.. الطراز الكلاسيكي الممل. هل تفهمين ما أعني؟

عمَّ السكوت السيارة وظلَّ بول ينتظر رداً، ولكن باميلا كانت قد غرقت في عبوس مضطرب، تفكر في أفكار بائسة، لن تعترف له أبداً أنها كانت تفكر في شكل الحياة إن تزوجته. ولكنها على الرغم من حبها له لا تستطيع العيش معه في بيت واحد، لأنه

سيكون ذلها الأخير، ولأنه به سيحقق انتقامه منها لقاء خداعها. تصورت أنه سيجبرها على حبه ليستطيع بعد ذلك هجرها ليتزوج بسوزي هاليداي.

حسناً... لن تسمح له بذلك لأنها لن تدعه يعرف أنها، على الرغم من استقلاليتها الخارجية، هي من الداخل مفعمة بالأنوثة كسوزي بل أكثر.

جذبها بول من أفكارها بصوته الساخر الرقيق:

ـ حسناً باميلا. لم تجيبي عن سؤالي.. ما رأيك لو نسكن معاً؟ قد نحصل على شقة صغيرة رائعة في مكان قريب من المكتب وعندئذ لن أضطر إلى اجتياز تلك المسافة خارج لندن وصولاً إلى شقتي بل ستتمكن من حمل العمل معنا إلى المنزل.. ثم بالطبع، متى رحل الوفاق عن العلاقة، يكن كلانا حرّ في اختيار شريك جديد.

ـ وماذا عن سوزي؟ ألن تعترض؟

ـ ما من مشكلة، فهي تعرف أنني لست ملاكاً. ولا تتوقع مني الإخلاص، وستفهم أن علاقتي بك مختلفة عن علاقتي بها. لذا لن تفتعل أية مشكلة.. أتعلمين، كلما ناقشنا هذه المشكلة كلما بدت لي مثيرة. ما قولك باميلا؟ نحن راشدان، متحرران، لا يحول بيننا ما يمنعنا من إقامة علاقة.. فأنت فعلاً جذابة، ومختلفة كل الاختلاف عن سوزي.

تدفق غضبها عندما قارنها بسوزي، لكنها أجبرت نفسها على التحدث بطريقة وقحة لم تألفها من قبل:

ـ قد تتمكن من إبقائي في العمل بتهديداتك. لكن ما من

مجال لإجباري على أن أكون أكثر من سكرتيرة عندك. أعلم أنك مستثمر بارع، وأنني أتعلم منك أكثر مما سأتعلمه من رب عمل آخر، ولكنك لا تعجبني، ولا تعجبني مداعباتك. فلماذا تظن إذن أنني قد أرغب أن أقيم علاقة معك خارج العمل؟

فضحك:

ـ أتعلمين باميلا.. أظنك على حق. فمن الغباء التام تدمير علاقتنا الحالية بالتورط العاطفي. أنت تثيرين إعجابي كما لم يحدث مرة. لذا لا أحب أن أرى الحب يبلد حدة تفكيرك.

ـ لا تقلق.. لن ترى تفكيري بليداً أبداً.

بدت كلماتها شجاعة، لكنها أملت أن تكون صحيحة. فهي لم تستطع منع نفسها من الوقوع في حبه. ولكنها ستبذل المستحيل لمنعه من اكتشاف أمرها، فلن تستطيع صبراً على قسوته وسخريته.

تغيرت أثناء تبادلهما الحديث المناظر ثانية. فالمنازل الآن أكبر حجماً وأشد تباعداً، فيها الأرض مشجرة. انعطف بول بالسيارة جنوباً، ثم تنهد مسترخياً:

ـ أشعر حالما أترك الطريق الرئيسي أنني أفضل حالاً.. من الآن فصاعداً الطريق الريفية ذات اتجاهين. نعم السير عليها أبطأ ولكنها مريحة.

راحت باميلا تتأمل ما يمران به من بلدات ريفية كانت تبدو فيها المنازل أشبه بفيلات صغيرة مؤلفة من طابق واحد مطليّ بعضها باللون الأبيض ولكن العديد منها حوّلته تقلبات الطقس وهواء البحر إلى الرمادي.

انعطف بول عن الشارع الرئيسي إلى ممر داخلي مرصوف بالحصى يحمل لوحة كُتب عليها «طريق خاص». تعرجت الطريق بين أشجار الصنوبر ثم قرب شاطىء رملي، كان يقع عنده منزل منخفض واسع مغطّى بأشجار الأرز الصنوبري. تقدم بول بالسيارة إلى سقيفة ناتئة من المبنى، فترجّل ليخرج الحقائب التي حملها ودخل إلى المنزل تاركاً باميلا تقتفي أثره. كان أرنست وروميلا الساقي ومدبرة منزله قد سبقاه إلى المنزل، فقد شمّت باميلا رائحة المقبلات المتصاعدة من المطبخ.

تنسّم بول رائحة الهواء:

ـ آه.. روميلا تطبخ لنا «لازانيا» انتظري حتى تذوقيها.

ناول بول الحقائب لأرنست، ثم اقتاد باميلا إلى المكتبة. على الرغم من أن أثاث سائر المنزل من الخيزران المريح، كانت المكتبة امتداداً لمكتبه في المدينة.. كتب عن عالم الاستثمارات تملأ رفوف الجدران، وآلة تلكس على أحد جوانب طاولته.

جلس وراء مكتبه حيث راح يخرج الأوراق من حقيبته الخاصة. بعد ذلك طلب من باميلا الاتصال بالسيدة تاوتسند، ثم بدأ الاتصال بالسوق المالية على جهاز التلكس، يسجل الأسعار التي كانت تظهر أمامه. قالت باميلا بضع كلمات مناسبة للسيدة تاوتسند، ثم حوّلت المخابرة إلى بول الذي تحقق من بعض المعلومات معها قبل أن يبلغها عن العنوان الذي عليها الاتصال به، شريطة أن تبقى هذه المعلومات سراً عن الجميع.

ثم أصبح صوته عصبياً:

ـ وماذا أفعل لأبعدهم عني؟... حسناً.. إذا كانوا يعتقدون

أن سوزي خطيبتي فلا تنكري الخبر، فعندئذ قد يتركونني وشأني.

أغلق السماعة وأخذ يلعن ساخطاً.

خفق قلب باميلا لأن أسوأ مخاوفها تحققت أخيراً. لقد اعترف بول أنه سيتزوج من سوزي.. عضت على شفتها، ثم أدارت وجهها لتخفي دمعة انسلّت فجأة من عينيها.

كان ما تبقى من اليوم شبيهاً كل الشبه بأيام المكتب، حتى نسيت باميلا أين هما، ولكن إعلان خطبة بول الوشيكة لم تفارق عقلها.

كانت اللازانيا التي أعدتها روبيلا لذيذة، وكذلك كان طبق الكركند والقريدس والسمك السابح بصلصة البندورة المبهّرة، والسلطة الغنية الخضراء والخبز الفرنسي الذي خبزته بنفسها.

أسندت باميلا ظهرها إلى مقعدها بعد القهوة ووضعت يدها على معدتها:

ـ لا أذكر آخر مرة تمتعت فيها بوجبة كهذه. أشعر أنني متخمة وما عليّ إلا التمدد على فراشي.

فابتسم بول وتقدم إلى كرسيها:

ـ لا.. لا. إن أحد الأشياء التي تجهلينها عن الحياة هنا هو أنه بعد وجبة متخمة، نقوم عادة بنزهة على الرمال. فاذهبي وارتدي كنزة صوفية، فهواء البحر بارد وقت المغيب.

عندما عادت بكنزتها كان بول ينتظرها وهو حامل سترة واقية، أمسك بيدها وقادها إلى البحر بعدما طلب منها أن تترك حذاءها في نهاية الممر. ما زال المغيب في نزاعه الأخير، والشاطىء يغفو تدريجياً مما أرسل موجات استرخاء في أطراف

باميلا المتعبة.

جلس بول فوق الرمل قرب الماء جاذباً باميلا معه.

ـ هذا هو الوقت المفضل عندي. أحب الجلوس ومراقبة آخر إشعاعات الشمس منعكسة فوق سطح الماء.

التفّت ذراعاه حول كتفي باميلا التي جذبها إليه بلطف حتى استقر رأسها بسهولة على صدره، كانت الحركة سريعة وطبيعية بحيث لم يتسنَّ لباميلا المقاومة، فقررت التمتع بصفاء وسكون تلك اللحظات مطمئنة هانئة للمسة بول الحنون تراقب الشمس النارية وهي تختفي في البحر.

حين أظلمت الماء ارتعدت باميلا، فالتفتت إلى بول، تحس بقلق، ولكن تصرفها هذا يناقض ما قالته له في وقت سابق من هذا اليوم. وعليها أن تكون أكثر حذراً:

ـ أعتقد أن علينا العودة الآن.

اشتدت قبضة ذراعه على كتفيها عندما حاولت الوقوف:

ـ لا تقلقي... فما هو قادم أجمل، بعد دقائق تظهر النجوم فالقمر سيبدو انعكاسه فوق المياه مميزاً، لذا لا أريد أن يفوتك منظره.

فعادت تستقر على صدره ثانية، ترمي مخاوفها جانباً. وما قال حدث، فقد تهادت النجوم تدريجياً، وكأن شخصاً ما يضيء سلسلة من الشموع في كل مكان، وما هي إلا دقائق حتى أطلَّ القمر، مشعاً، مرسلاً هالة من الضوء الذهبي على سطح الأرض، كان منظره مؤثراً حقاً كما وعدها بول، فالتفتت إليه وعيناها تلمعان بالإعجاب.

التفت بول إليها أيضاً، فلمّا التقت عيونهما أرجعها بلطف إلى الوراء حيث استلقت فوق الرمال وعندئذ فتحت فمها لتحتج، ولكنه أخرس كل احتجاج قد يصدر منها. كان لطيفاً، رقيقاً، ناعماً يمسّد لها شعرها ويفرشه على الرمال الناعمة. تأوهت ثم راحت تمرّغ رأسها في الرمال، لا تعرف ماذا تريد، وحاول إسكات أي شك قد يكون في نفسها هامساً:

ـ أريدك باميلا.. أريدك لي، لي وحدي.

بلغت كلماته مسمعيها وكأنها آتية من حلم.. ولكنها ليست كلمات حب بل كلمات رغبة. فهو لم يقل إنه يحبها، وهي لا تشك في أنه يرغب فيها. شدَّ ذراعيه حولها برهاناً على هذا.. ولكن ما زالت تملك القدر الكافي من احترامها لنفسها لتمنع توقها من القيام بعمل قد تندم عليه إلى الأبد. فرفعت يديها إلى صدره، ودفعته عنها:

ـ لا... لا! لقد وعدتني بألا تجبرني... فاتركني... أرجوك لا أطيق ذلك.

جلس بول ناظراً إليها:

ـ سبق أن قلت إنني لن أجبرك على شيء وما زلت عند كلمتي. ولكن إياك أن تنكري رغبتك فيَّ منذ قليل. فلماذا تقاومينني؟

هبّت باميلا على قدميها وصرخت بهستيريا:

ـ لست ألعوبة بين يديك تستخدمها ما شئت. أنا إنسانة.. حرة في اختيار من أشاركه عواطفي. أنا لا أريد أن تشاركني فيها.

وهرعت إلى المنزل ومنه إلى غرفتها التي أغلقت بابها خلفها.

وقفت ساخطة خافقة القلب بجنون، حتى بدا لها أن صداه سيملأ الغرفة الصامتة، ثم سمعت الباب الخارجي يفتح ويغلق، وخطوات بول تتقدم إلى غرفتها. قرع الباب قرعاً خفيفاً.

- باميلا.. اسمحي لي بالدخول، أريد محادثتك.

أحست باميلا وكأن ثقلاً هائلاً يضغط على صدرها...

- لا.. ليس بيننا ما يقال.. أرجوك ابتعد.

مرت لحظات صمت مترقب، أغمضت فيها باميلا عينيها وشدت يديها بقبضتين. ثم تناهى صوت بول اللطيف من وراء الباب:

- حسناً.. باميلا. سنتحدث في الصباح. أرجو أن تكوني أفضل حالاً بعد ليلة هانئة.

ابتعد عن الباب ثم سمعته يدخل إلى غرفته.

تلاشى تماسكها وارتجف جسمها توتراً. فغطت وجهها بيديها واتجهت إلى النافذة.

فيما كانت أصابع الفجر الرمادية تتسلل من النافذة، حملت حقيبتها الصغيرة وغادرت المنزل، تسير نحو البلدة لتستقل الباص، للبدء برحلة طويلة إلى لندن.

* * *

٩ - رحلة العمر

مادت أشجار الصفصاف الباسقة وتلاعبت نسمات أيلول القوية بالأغصان قطعة قطعة... إن أوائل الخريف، ونهاية الصيف، موسم جميل جداً في الريف الإنكليزي، وكأنه مكافأة للطقس قبل أن يهجم برد الشتاء القارص.

قعدت باميلا قرب البحيرة وشعرها المخملي الأشقر تُبعده عن وجهها عقدة من الساتان الأزرق المتناسق مع لونها ولون عينيها، ثم أسندت ظهرها إلى جذع شجرة سنديان غليظة راسخة في القِدم، وراحت تقضم ورقة عشب خضراء بكسل وهي تحدق إلى المياه الهادئة.. كان كل ما يحدق بها في هذا الوادي المزروع هادئاً ساكناً حتى صعب عليها أن تتصور ما مرَّ بها من عذاب في الأسابيع القليلة الماضية.

لقد وجدت أخيراً أن الضغط المزدوج الذي يمارسه عليها بول برغبته في الانتقام، وبرغبته في جسدها، هو أكثر من أن تطيقه.

بعدما تركت منزله في منتجع هاستنغز، عادت إلى لندن، فوضبت أغراضها، واستقلت قطاراً متوجهاً إلى موطنها. حاولت بيرل أن تحصل على تفسير منها، ولكنها لم تقل شيئاً، بل دفعت

لبيرل حصتها من إيجار الشهرين المقبلين، ووعدت بالعودة عما قريب... مع أنها سراً كانت تشك في العودة.

راقبتها بيرل تكتب رسالة استقالتها التي أرسلتها بريدياً قبل أن تباشر بتوضيب حقائبها. اتصل بول، لكنها رفضت التحدث إليه، وقبل أن يجد الوقت الكافي للعودة من هاستنغز، كانت في طريقها إلى بلدتها الصغيرة حيث يعيش والداها.

ها هي ذي تجلس هنا في الهواء النقي المنعش غير راغبة في العودة إلى المدينة. والداها سعيدان بعودتها، لأنهما لم يوافقا أصلاً على فكرة مكوثها في لندن وهما في الوقت الحالي يترقبان زواجها من رجل يعيش في مجتمعهما. كانا يتوقان أن تستقر مع زوج ما في مزرعة حافلة بالأحفاد لينعما بأصواتهم الدافئة الحبيبة.

وُظِّفت باميلا في المصرف المحلي. وكان الجميع حتى مدير المصرف السيد أولدفيلد، متأثرين بفطنتها المالية. أما أنطوني، ابن السيد أولدفيلد، فقد كان قطعاً يظهر لها أكثر من اهتمام عابر وكانت تعلم أن تشجيعاً صغيراً منها قد يقوده إلى طلب يدها. ولكنها لن تتمكن أبداً من الزواج به، فهو لم يطلق عقال قلبها ولم يدفعه إلى الخفقان كما كان يفعل بول غراينجر، علماً أن بول لم يكن يفكر فيها إلا في الاستيلاء عليها ليرميها بعد ذلك جانباً.

لا جدوى على أية حال من التفكير في العودة إلى المدينة.. فما تزال واثقة من تمسك وتصميم بول على إفساد أية فرصة قد تمنحها وظيفة ما. ربما كان على حق فيما يختص بها، ربما قُدِّر

لها ألا تكون سيدة أعمال.

أشار تهشّم أوراق الأشجار اليابسة إلى أن في الغابة كائناً ما. رفعت باميلا رأسها متوقعة رؤية ظبي صغير أو سنجاب، أو حيوان من الحيوانات المختلفة القاطنة في تلك الأرض الخصبة، ولكنها عوضاً عن ذلك، شاهدت وجهاً لم تفكر قط في أنها ستراه ثانية. كان بول غراينجر يقف هناك ينظر إليها.

دوّى صوتها بغضب مذهول:

ـ أنت... ماذا تفعل هنا؟ إنها أملاك خاصة. اسمع ما عدت موظفة عندك، لذا أنا غير مضطرة لتحمل رفقتك بعد الآن.

وهمّت بالوقوف، ولكن يده القوية أعادتها إلى الأرض، وصرخ غاضباً:

ـ اجلسي! ما زلت صعبة المراس كما كنت دائماً. لن أعضك. إن أزعجت نفسك بعض الشيء وتصرفت كامرأة متمدنة لما انتهى بنا الأمر إلى الجدال.

انخفض إلى الأرض وجلس إلى جانبها. لكنها لم تتراجع:

ـ ولِمَ أكون مؤدبة معك وأنا أرفض أن تكون بيننا علاقة؟ أشكرك لأنك دفعتني إلى مغادرة لندن محطماً بذلك أحلامي بمستقبل مهني. ألا تظن أنك عاقبتني بما فيه الكفاية؟ أحذرك... لن تقدر على فعل المزيد، لذا من المستحسن أن تعتبر القضية منتهية.

ـ هذا ما أفكر فيه بالضبط باميلا. لقد قرت أن أسامحك على خداعك لي وأنا هنا أنتظر اعتذارك.

هبّت باميلا على قدميها واقفة وراحت تحملق إليه مدهوشة:

ـ تريد «مني» أن أعتذر؟ يا لك من وقح! لقد اعترفت بأن تنكري كان خطأً جسيماً واعتذرت عنه منذ زمن بعيد. ولكنك ضخمت الأمر حتى أقنعت نفسك بالانغماس في الانتقام مني. ثم، وبعد أن دمرت آمالي بمستقبل عملي تتبعني إلى بلدتي متوقعاً مني الاعتذار ثانية؟ ستسمع اعتذاري إذن دخل إبليس الجنة!

أمسك بول بيدها وجرّها حتى تجلس قربه:

ـ أوه... توقفي عن هذا باميلا. أقسم أنك مهووسة بالأمور المأساوية حتى يكاد يليق بك التمثيل أكثر مما يليق ببيرل.. لم ألحق بك إلى هنا... ولولا انغماسك في بؤسك منذ مدة لعرفت أن ثمة سباق سيارات يجري في سهول ميدلاند. وأنا كما تعلمين أهوى سباق السيارات. وكنت قبل هذا السباق قد أمضيت أسبوعين محاضراً في جامعة برمنغهام، محاضرات تتعلق بالاقتصاد وسوق القطع. وهكذا تجدين أنني في رحلة عمل لا في رحلة إنزال العقوبات عليك. علِمتُ بيرل أنني قادم إلى هذه المنطقة، فطلبت مني زيارتك للاطمئنان على صحتك. ولمّا سألت أمك عنك أخبرتني أنك تتنزهين في الغابة.. والآن.. أتظنين أن بإمكاننا تبادل حديث طبيعي.

دار رأس باميلا، لقد جاء بول لدافع نبيل بناء على طلب بيرل. سرعان ما أدركت أن تصرفاتها معه كانت طفولية، ولكن أنّى له أن يعرف شيئاً عن العذاب الذي يسببه لها حبها له؟

ـ أنا آسفة بول. أنت في غاية اللطف. ولكننا كما تعرف في خصام دائم حتى بتُّ غير قادرة على تصور وجود علاقة متمدنة

بيننا... كيف حال بيرل! لم أسمع شيئاً عنها منذ مدة.

ـ أعرف، ولهذا طلبت مني المجيء. فعلاقتها بتالبوت علاقة جادة ولن يدهشني أن يتزوجا قريباً. على أية حال بيرل ستضطر إلى تسليم الشقة، إلا إذا أردت الاحتفاظ بها لنفسك.

لم يدهشها ما سمعته عن بيرل وتالبوت، فقد لاحظت قبل أن تغادر لندن شدة تقاربهما.

ـ أعتقد أنك كنت مخطئاً بشأن تالبوت إذن. فهو ليس زير نساء كما صورته لي.

فهز بول رأسه:

ـ لن أعترف بهذا تماماً، فلنقل أن بيرل استطاعت ترويضه.

فابتسمت باميلا بحزن:

ـ أنا سعيدة لأجلها. أعرف أنها تحبه حقاً وأعرف أيضاً أنهما سيعيشان في سعادة. أظنهما مهما قلت عنهما من أفضل الأشخاص الذين عرفتهم.

فكر بول بحذر قبل أن يقول:

ـ ربما أنت على حق. ولكنهما مؤخراً لم يكونا لطيفين معي. لقد طلبت مني بيرل أن أقول لك إنني لن أقف في وجهك إذا عدتِ إلى لندن. لقد شرحت الموقف كله، وأظنني كنت قاسياً معك لذا أعتذر عما بدر مني وأؤكد لك أن بإمكانك استعادة وظيفتك في مؤسستي إن شئت، كما أعد بألا أضايقك بعد الآن.

وقفت باميلا، ثم نظرت إلى بول ساخرة:

ـ هكذا إذن... بكل بساطة! تدمر حياتي كلها... تجعلني

أهرع إلى حضن أهلي... ثم تأتي إلى بلدتي معتذراً عن قسوتك طالباً مني العودة، وما ذلك إلا لأن أحد زبائنك عاتبك على فعالك... حسناً... انسَ الأمر! قد لا تكون هذه البلدة مثل لندن، ولا هذا المجتمع مثل مجتمع المال، لكن الناس هنا يحترمونني.

وقف بول ليمسك ذراعها بقسوة:

ـ ما زلت كما أنت. لم تسمعي كلمة مما قلته لك...؟ أنا لم آتِ معتذراً! وما من أحد في الدنيا يجعلني أفعل ما لا أريده. وليس هناك في الدنيا مال يكفي لإجباري على فعل شيء ما ضد إرادتي.. كنت أحاول أن أكون مهذباً كيّساً معك. وهذا ما لا يفهمه على ما يبدو عقلك الصغير الملتوي. لا أدري كيف أنقل رسالتي إلى عقلك الأعوج هذا. أنت أشدّ امرأة مراساً قابلتها في حياتي.

نظرت باميلا إلى عينيه الرماديتين العاصفتين بتحد:

ـ ولماذا تتعب نفسك؟ لِمَ لا تنساني ولِمَ لا تتركني وشأني؟

جذبها بول إليه، ساحقاً ذراعيها بعنفه. كانت ذراعاه الفولاذيتان تأسرانها وعيناه الحادّتان تلمعان وكأنهما قطعتا ألماس، لكن فيهما رقة ما مستترة تخشى الظهور وكان صوته أجش متهدجاً وهو يقول لها:

ـ ليتني أستطيع أن أتركك وشأنك. لكنك تلاحقينني ليل نهار، وكأنك ساحرة وثنية. أحس برغبتي فيك عندما نفترق، ولا أستطيع منع يدي عن ملامستك عندما ألقاك. لن تهربي إلى أي مكان في العالم قد أعجز عن إيجادك فيه.

وضمّها إليه بعناق محموم، فشعرت بالعذاب بين ذراعيه. كانت أصابعه تداعب بلطف كل ذرة من بشرتها التائقة إليه، فاشتدّ توتر باميلا حتى الانهيار، فارتفعت يداها طوعاً وأمسكتا برأسه تشدّانه إليها. فجأة تعطّل عقلها نهائياً وباتت لا تشعر إلا برغبة بدائية تملي عليها ما تفعل.

استرخت ذراعاه عندما أحس بتجاوبها، ومدَّ يده بدوره ليشدّ رأسها إلى عنقه فداعبت أنفاسها الحارة الرطبة بشرته.

سحب بول أنفاساً عميقاً فيما شعرت هي بأن حبها يكاد يفجر قلبها.

ـ أريدك باميلا.. من الجنون مقاومة ما نحسّ به معاً.

شاهدت باميلا الرغبة تطل من عينيه فتجمّد الشوق الذي أشعله حبها له. الرغبة... أهذا كل ما يشعر به تجاهها... الرغبة؟ سعى إليها ليحصل على ما يريده ولينهي عذاب شوقه؟... ومتى أشبع شوقه إليها ورغباته الجسدية يغدُ حراً للزواج بسوزي التي سيمنحها الحب والاحترام اللذين يكنه الرجل للمرأة التي يتزوجها.

أرسلت هذه الفكرة رعشة باردة إلى عروق باميلا، فانسلّت من بين ذراعيه، دافعة صدره عنها بيديها.

فاجأه العنف المباغت في حركتها فوقف ينظر إليها مرتبكاً، لكن الرغبة المشتعلة في عينيه ما تزال ترسل شررها.

كان خوفها من سيطرته عليها، وشعورها بالقرف من تجاوبها المستكين إليه يزيدها غضباً إلى غضب.

ـ أكرهك! أنت كالآخرين. لن أكون العوبة بين يديك، فأنا

إنسانة لا لعبة بلاستيكية. عد الآن! عد إلى سيارات السباق وإلى عملك، أو إلى العوبة أخرى تستطيع أن تجد عندها التسلية التي تنشدها. دعني وشأني! أنت تقرفني! بول غراينجر!

ثم هرعت لا تلوي على شيء والدموع تتدفق على وجهها.

وصلت إلى المنزل ثم اتجهت فوراً إلى غرفتها متجاوزة أمها، التي سألتها عما إذا رأت الشاب الذي يزورها. فهزت رأسها وتابعت السير إلى غرفتها لتغلق الباب وراءها، فقد كانت تعبة من الركض ومن قلبها الخافق.

كانت الدموع قد جفّت عن مآقيها عندما سمعت هدير محرك سيارة فأسرعت إلى النافذة وهناك رأت سيارة بول تبتعد. كان حنين عميق في قلبها يطالبه بالرجوع... ولكن عقلها قال لها إن هذا خير لها.

مرت الأسابيع التالية دون أحداث تذكر ولكنها خلالها كانت تظهر مهاراتها في حقل المال في المصرف وقد بدا لها السيد أولدفيلد سعيداً إلى أقصى حد لأن اهتمام ابنه طوني بها قد تزايد. وقد قام بما في وسعه لتشجيعه على هذه العلاقة. ولكن عواطف باميلا كانت متحجرة، فربما لم ينل بول منها ما يريد ولكنه سرق بكل تأكيد قلبها.

كانت مسرحية بيرل قد أخذت تجول في الأقاليم بعد نجاحها الساحق على مسارح لندن. وكان النقاد قد حيوا في بيرل براعتها وتوقعوا أن تلمع في أفق الفن... اكتملت سعادة باميلا عندما استلمت منها رسالة صغيرة ولكن سعادتها كانت أكبر عندما قرأت دعوة إلى حضور حفلة عرسها قبل اسبوعين من انتقالهما لعرض

المسرحية في المسرح المكشوف في ريجنت بارك.

تلقت الدعوة بمشاعر مختلطة، فهي مسرورة بإقدام بيرل وتالبوت على الزواج، ولكن معرفتها أن بول غراينجر سيكون حاضراً مع سوزي هاليداي ربما جعلها تعيد التفكير ثانية. غير أنها قررت أخيراً أن علاقتها ببيرل أهم من أن تفسدها من أجل بول غراينجر. لقد دمّر لها حتى الآن عدداً كبيراً من أحلامها لذا لن تسمح له بحرمانها من سعادتها برؤية بيرل عروس.

قادت باميلا سيارتها بنفسها إلى لندن. نعم لا تنكر أنها تكره اجتياز هذه المسافة كلها، ولكنها الطريقة الوحيدة للانتقال ومعها هذه الهدايا كلها لبيرل، هذا عدا ملابسها. تستغرق الرحلة إلى لندن حوالى خمس ساعات، لذا ارتدت جينزاً مريحاً وقميصاً ثم أكملت زيها بسترة واقية بيضاء.

كان بيرل وتالبوت قد استأجرا جناحاً لهما في الفندق حيث ستتم مراسم الزفاف، لذا كان لباميلا الشقة كلها في كينغستون.

من حسن حظها أن ازدحام السير كان خفيفاً فتمكنت بذلك من الوصول قبل الوقت المحدد.

في الشقة اغتسلت ثم راحت تعدّ ما ترتديه للحفلة. كانت باميلا قد اختارت ثوباً اشترته يوماً بتهور عندما خرجت مع بيرل، وهو أغلى ثوب اشترته في حياتها. والواقع أنها ما كانت لتشتريه لولا إصرار بيرل يومذاك. لذا بدا لها من المناسب أن ترتديه ليوم الزفاف.

الفستان بسيط. مصنوع من الحرير الأسود الناعم، ياقته مستديرة بسيطة ولكن يضيق عند الخصر قبل أن ينسدل إلى

الكاحلين بخطوط ناعمة متهدلة. لم يكن للفستان ميزة خاصة ولكنه انتعش عندما التصق بحنايا جسد باميلا التي بدت وهي مرتديته خلاّبة ساحرة وكأنه صنع خصيصاً لها.

شكرت بيرل في سرّها لإصرارها على شرائه، فقد بدت بالفستان أنيقة جذابة وكأنها إحدى الممثلات الشهيرات اللاتي يعملن مع بيرل. أما الحذاء الأسود اللماع العالي الكعبين فقد أظهر رشاقتها وطولها المديد، ثم بعد ذلك أكملت زينتها بسلسلة ذهبية بسيطة تدلت من عنقها وبسوار ذهبي جميل.

تدلّى شعرها البرّاق مسترسلاً على كتفيها، فأضاء وجهها بشعاع طبيعي لا اصطناع فيه، رمت على كتفيها «الكاب» المخملي الأسود، وتوجهت إلى التاكسي الذي طلبته.

اكتظت غرفة الاستقبال بالضيوف، فضغطت باميلا نفسها لتمر بين الجموع بحثاً عن بيرل وتالبوت. وأخيراً شاهدت بيرل واقفة بين مجموعة ضخمة من الناس. حينما شاهدتها بيرل، ركضت إليها تعانقها بحرارة.

ـ أوه پام... ما أسعدني بمرآك. لقد اشتقت إليك كثيراً.

وصاح صوت رجولي عميق مرتفع:

ـ أجل... لقد أحست بالوحدة حتى قررت أخيراً التفتيش عن رفيق جديد.

رفعت باميلا رأسها فشاهدت تالبوت يضحك لها وهو يقترب من بيرل واضعاً يده بتملك حول خصرها النحيل:

ـ من هذه المخلوقة الساحرة العائدة من البرية؟ ترى هل خبأتها عني لئلا أعدل عن أن أصبح مواطناً مستقراً؟

فضربته بيرل بين ضلوعه مداعبة:

ـ توقف عن هذا تالبوت. أنا من دفعتها إلى شراء هذا الفستان. ولكنني لم أستطع إجبارها على ارتدائه، لذا أعتبر ارتداءها إياه إطراءً لي الليلة. فلا توترها وإلا غضبت مني لأنني أجبرتها على شرائه.

ـ حسن جداً يا عزيزتي. أنا لن أتجادل مع عروسي الليلة. في الحقيقة يا پام تبدين ساحرة، لكن وللأسف، حياتي الرومانسية ما عادت ملكاً لي. فأنا مرتبط، لذا سأحاول أن أبحث لك عن رفيق يضفي قليلاً من النكهة على حياتك.

ـ لا بأس بي هكذا تالبوت. سأكون على ما يرام وحدي. فأنا كما تعلم أعرف بعض الحاضرين الليلة.

كانت باميلا غارقة في حوار عميق مع والدة بيرل عندما نظرت إلى الغرفة فطالعها بول غراينجر.

أمسكت أصابعه السمراء القوية بكأسه الطويلة فيما اتكأ جسده بعفوية إلى المدفأة. بذلته السوداء المحاكة يدوياً، زادت من سطوته. فتعجبت باميلا من تأثير وجوده فيها.. لو ابتسم لها لرمت نفسها بين ذراعيه طوعاً، تتوسل إليه حتى يسامحها ويتقبل حبها. ولكن عينيه كانتا تجولان فيها بلا اهتمام.

دهشت باميلا لعدم وجود سوزي معه.. لماذا لا ترافقه إحداهن الليلة؟ ربما سوزي تتحدث إلى شخص آخر؟ ولكن بعد نظرة سرية شاملة للغرفة اكتشفت أن لا أثر لها. فحارت في ما تفكر وتحركت مع الآخرين إلى الغرفة التي ستقام فيها مراسم الزواج مشتتة الذهن.

لاحقتها عينا بول طوال مراسم الزواج، وخلال حفل الاستقبال فيما بعد.. كان وجهه جامداً عابساً دائماً، وكانت كلما أحست بنظرته الباردة الرمادية تستقر عليها تقتنع أكثر فأكثر بأنه لم يتوقف لحظة عن كرهها.

ولكنها أدركت الآن أن الحب أهم عندها من أي مستقبل مهني، والحب الوحيد الذي تتوق إليه، هو حب بول. لكنه يكرهها، وهو إلى ذلك سيتزوج بسوزي لذا عليها إقناع نفسها بالوظيفة التي تقوم بها في بلدتها الصغيرة.

ودّع بيرل وتالبوت ضيوفهما وغادرا المكان لبدء شهر عسلهما المنعزل عن الناس في مزرعة تالبوت البعيدة شمالاً. كانت باميلا تحاول تجنب تقدم الضيوف وتدافعهم عندما سمعت صوتاً مألوفاً قربها:

ـ لا بأس في هذا جيفري.. سأعتني بهام الآن.

لكن الرجل شدَّ بيده على ذراع باميلا:

ـ انسَ الأمر بول. فستكون هذه الحسناء رفيقتي.. ابحث عن تسلية أخرى الليلة!

وقبل أن يعرف أحد ما حدث كان بول قد هجم على الرجل الذي ارتدَّ إلى الوراء رامياً معه إلى الأرض باميلا التي اصطدم رأسها بمؤخرة كرسي.

عندما انحنى بول عليها حاولت الاحتجاج واهنة ولكنه حملها بين ذراعيه، ورأسها ما يزال يؤلمها.

ـ لا أحتاج رعايتك وعنايتك فما عدت سكرتيرتك. دعني وشأني!

لكنه تجاهل اعتراضاتها:

ـ أنت لست في وضع تعرفين فيه ما تقولين أو تفعلين. لا أدري ما دهاك بام... تأتين إلى هنا مرتدية فستاناً وكأنك ملكة من ملكات الجمال، ثم تبدئين بالتحدث مع ذلك المتطفل. ألديك فكرة عما كان سيحدث لو تركتك معه؟

ـ ما كان ليحدث أي شيء! أنا قادرة على العناية بنفسي. أنت تصدق دائماً أسوأ الأمور عني.. لا يمكنك تحمل أن يجدني رجل آخر مرغوبة كما تجد سوزي.

ـ دعي سوزي وشأنها.

وأعطى حارس الباب بطاقة سيارته ليحضرها.. فكان أن أسرع الحارس الذي قاد السيارة إلى حيث يقف بول. وضع باميلا في المقعد الأمامي وهناك غرقت في النوم من جرّاء سقطتها تلك.

عندما استيقظت في الصباح التالي، أحست وكأن رأسها بالون منفوخ على وشك الانفجار، كما أحست بفمها جافاً.

دفع نور الشمس الشاحب المتسلل من النافذة الألم إلى رأسها فأشاحت وجهها عنه. ولكن ما هي إلا فترة قصيرة حتى استردت وعيها فوجدت أنها ليست في غرفتها في الشقة أو في منزل أهلها. كان للغرفة مظهر رجولي... فالسجاد بني غامق، والجدران مكسوة بورق جدران لونه عاجي قاتم. والأثاث بسيط جميل، والنافذة مغطاة بالخيزران الأسود.

تذكرت بسرعة أحداث الليل الفائت كما تذكرت بول وهو يحملها ويضعها في السيارة... ولكنها لا تذكر شيئاً بعد ذلك..

فماذا تفعل هنا بحق الله؟

كان فستان السهرة، والكاب، ملقيين على كرسي مجاور، وما كانت ترتدي إلا ثيابها الداخلية. فارتجفت حرجاً ورفعت رأسها عن الوسادة.. لكن ألماً أعمى بصرها وأجبرها على إعادة رأسها إلى الوسادة. كانت تعلم أن عليها مغادرة هذه الغرفة، ولكنها مريضة بحيث لن تتمكن من الحراك، فتأوهت متألمة، ثم أغمضت عينيها.

تصاعد صرير خفيف للباب وهوينفتح ببطء، ثم أعقبته خطوات ناعمة في الغرفة. ففتحت باميلا عينيها وإذا به يقف جانب السرير. جعلت نظرة واحدة إلى الجسد المألوف عيناها تنفتحان على وسعهما. ابتسم لها بول وعيناه قلقتان:

ـ أرى أنك عدت إلى عالم الأحياء.. كيف حالك الآن؟

أغمضت باميلا عينيها من جديد:

ـ رهيبة!

فهز رأسه:

ـ لست دهشاً، نظراً لحجم الضربة التي تلقاها رأسك. لكن لا تقلقي، قال الطبيب إن بضع ساعات من الراحة ستشفيك. أحضرته البارحة ليعاينك لكنك كنت غائبة عن الوعي.

ـ أظنني أحتضر.

فضحك بول:

ـ حسناً، اشكري ربك لوضعك هذا فهو على الرغم من خطورته غير مميت، وعليه ستستردين عافيتك غداً. أما الآن، فما عليك إلا إغماض عينيك طلباً للراحة. لقد فقدت وعيك في

السيارة، لذا حملتك إلى شقتي ثم استدعيت الطبيب وكنت قبل وصوله قد وضعتك في الفراش ولأنك دون شك لا ترغبين أن يفسد النوم ثوبك، نزعته عنك.

ـ أتقصد أنك أنت من نزع عني ملابسي ليلة أمس؟

فكشّر عن وجهه مازحاً:

ـ اخرجي من هذه الألاعيب فأنا أؤكد لك إنني لم أمسّك. هيا عودي الآن إلى النوم، فلست في حالة تخوّلك الدخول في نقاش... سأتحدث إليك فيما بعد عندما تصبحين أفضل حالاً.

ترك الغرفة، مغلقاً الباب بهدوء وراءه، أما هي فتاهت في سبات عميق مضطرب. وعندما استيقظت منه كان المغيب في هذا اليوم الخريفي قد خيّم على الغرفة... ففتحت عينيها ببطء تتأمل ما يحدق بها، فكان أن اتجهت نظرتها الحائرة إلى الكرسي الذي قبعت عليه ملابسها، لكنها التقت بعيني بول غراينجر المتفرستين.

ـ لقد نمت النهار بكامله.. كيف أنت الآن؟

حركت باميلا رأسها من جانب إلى آخر ورفعته عن الوسادة، ثم رفعت الغطاء إلى كتفيها قبل أن تجلس.

ـ أنا بخير.

صمتت ثم أضافت على كره منها:

ـ أشكر لك عنايتك بي. لا أريد التطفل عليك أكثر. لو سمحت أحضر لي ثيابي واترك الغرفة، سأرتديها وأعود إلى منزلي.

هز بول رأسه وهو يتقدم ببطء إلى السرير. كانت عيناه

تطوفان فيها وكأنهما تمتلكانها. فخفق قلب باميلا وطفق يخفق بجنون حتى كادت لا تسمع كلماته لارتفاع ضرباته.

- ليس الآن. سيحل الظلام قريباً. لذا ليس من الحكمة التجول ليلاً. امضي الليلة هنا، وأنا أقلك صباحاً إلى المنزل هذا إن كنت مصرة على الذهاب.

وابتسم بعجرفة.

أحست باميلا بضعفها الكامل أمامه. نظرت إليه:

- أرجوك بول.. دعني أذهب إلى البيت.. لا أريد التشاجر معك أبداً.

انحنى بول فوق السرير ليضع يده تحت ذقنها فرفع وجهها وإذا عيناه تلتقيان عينيها.

- إذن.. لا تتشاجري معي.. هذا كل ما كنت أريده منك دائماً.. وأنت تعلمين هذا. فلا أطلب منك إلا التوقف عن مشاجرتي والبدء بأن تحبيني.

ضمها إلى صدره فابتعدت عنه:

- لا تلمسني.. أرجوك.. لا تلمسني!

- أنت تطلبين المستحيل. لا يمكنني إبعاد يدي عنك ولو أردت.

وكأنما ليبرهن عن صدق كلامه، راحت عيناه تتأملانها بشغف فيما راحت يداه تداعبان وجنتيها وعنقها. فقالت بصوت متوسل:

- بول!

لم تكن واثقة مما تريد، أتريد منه أن يتوقف أو أن يستمر، ولكن بول لم يكن حائراً لأنه سرعان ما أطبق عليها منعاً لأي

احتجاج قد يتصاعد إلى تفكيرها، كلاماً كان أم فعلاً. وضع يده خلف ظهرها، فأحست فجأة بصدمة عندئذ ثابت إلى رشدها ثانية، فرفعت راحتي يديها تدفعه بعيداً عنها، فتراجع، لكن عينيه تركتا وجهها فتشنّجت وأجهشت بالبكاء مرتجفة... عندئذ تحوّل تعبير وجهه إلى الحيرة والارتباك:

- ما الخطب الآن؟ لن أفهمك أبداً باميلا.

- لقد سلبتني كل شيء... مستقبلي، كرامتي، وحبي. ولم تترك لي أي شيء.. حتى جسدي!

ابتسم بول، لكن صوته كان متهدجاً:

- أنت محقة يا حبيبتي. أريد منك كل شيء.. أريد معرفة كل ذرة من كيانك.

ورفع رأسها بإصبعه ثم التقط وجهها بين يديه:

- أريد عقلك وتفكيرك، وجسمك. دون أسرار... دون تنكر... ودون أن يكون بيننا شيء.

مدت باميلا يدها لتوقف يده الممتدة.

- بول لا تفعل هذا.

وانسلت من بين يديه دافنة رأسها في الوسادة قائلة له بنشيج باك:

- أريد الذهاب إلى البيت بول... لا يمكنني البقاء هنا... ليس الآن... أحبك حباً جمّاً... حباً لا أقوى معه على رؤيتك تبتعد عني إلى ذراعي سوزي.

أمسك بول بكتفيها:

- أهذا ما تظنين أيتها الحمقاء الصغيرة! أتظنين أنني أهدر

هذا الوقت كله لو كنت أرغب في علاقة عابرة معك؟ ألا تعلمين أنك أوقعتني تحت سحرك منذ اللحظة الأولى التي نظرت فيها إلى عينيك وأنت تركضين في الشارع؟

ابتسم وقد رأى نظرتها المصعوقة:

ـ هاتان العينان الزرقاوان الدافئتان كان لهما تأثير مدمر في نفسي. حتى ذلك التنكر الرهيب لم يمنعني من الرغبة فيك. ظننت نفسي أفقد عقلي لرغبتي في امرأة هي أشبه برقيب التدريب في الجيش. وأشكر الله لانقطاع الكهرباء ذاك اليوم.. عندما عدت وشاهدتك في شقتك علمت أنني وجدت امرأة لن أستطيع نسيانها. لكنك كنت مستعرة غضباً ومصممة جداً على مقاومتي.. فلم أستطع تركك ترحلين.. لهذا السبب هددتك.. كنت مضطراً لإبقائك إلى جانبي بأية وسيلة ممكنة.

مسدت يده شعرها، ثم أرجعه بلطف إلى كتفيها. وأكمل هامساً:

ـ أريد الزواج بك... هذا إن لم تعترضي على التخلي عن وصفك كامرأة متحررة.. وهذا أمر عادي، فأنا لم أحظ بحريتي منذ التقيت بك.

بدا الذهول على باميلا:

ـ تتزوجني؟ لكنك قلت للمجلات إنك ستتزوج سوزي.

فضحك بول:

ـ سوزي فتاة مجتمع عابثة تافهة وعلاقتي بها كانت للتسلية فقط. أتعلمين أنني لم أرها منذ خرجت معي تلك الليلة؟ نعم تلك الليلة التي وجدت أنني لا أفكر إلا فيك. وإن كنت تذكرين

عدت إلى المكتب لأخرج معك. لم أقل لها يوماً إنني أحبها، ولم أطلب منها قط الزواج... وما قلت للمجلات إننا مخطوبان إلا لأن ذلك كان الطريقة الوحيدة لإبعاد أولئك النسوة المجنونات عن دربي... ولم أقل لك إنني أحبك لأنني كنت أخاف أن أفزعك فتهربين مني، لأنك كنت كلما لمستك أو اقتربت منك تقفزين كالمجنونة. لكني لم أعد أخاف.. أتعلمين أنك تتكلمين أثناء نومك؟ لذا.. لدي أسباب قوية للاعتقاد بأن تمثيليتك الصغيرة قد وصلت إلى نهايتها. لقد اكتشفت باميلا الحقيقية. باميلا... باميلا التي ستكون زوجتي وأم أطفالي، والتي ستشيخ معي حتى نصبح عجوزين. أحبك باميلا.. وأريد منك أن تتزوجيني. أتظنين أن بإمكانك أن تكوني سعيدة مع زوج له مهنتي؟

رمت باميلا نفسها بين ذراعيه، ودفنت رأسها في صدره:

ـ أوه.. بلى يا بول.. مليون مرة نعم! أظنني أحببتك... منذ رأيتك، لكنني كنت أضع ذلك التنكر الكريه. ثم بعد هذا، كنت دائماً غاضباً. فظننتك لن تسامحني، وعندما أخبرتني سوزي أنكما متحابان ظننت أن لا طائل من وراء أي شيء.

رفع بول رأسها بلطف:

ـ أحبك بجنون. والطريقة الوحيدة لأنجو من جنوني هو بقاؤك إلى جانبي لأحضنك بين ذراعي ولأعانقك... ولكن الآن.. أظن أن من المستحسن التوجه إلى منزل والديك... فلا أثق بنفسي إن بقيت معك على انفراد وأنا لا أنوي أن أفسد نواياي الشريفة تجاهك.

فابتسمت باميلا بسرور:

ـ حسناً يا حبيبي، إنما لا تنسَ أن أمامنا رحلة طويلة.

وفعلاً أمامهما رحلة طويلة إنما هي رحلة العمر السعيدة.

* * *

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة